

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز (يوليو) سنة ١٩٦٦ م

ربيع الأول سنة ١٣٨٦ هـ

دعوى الصعوبة في تعلم العربية

في الثلث الأخير من الشهر الثالث من هذا العام أُلِّفَ التِّلْفَاز (١) اللبناني العربي ندوةً أدبيةً من ثلاثة أعضاء ، ودار البحث فيها عن صعوبة تعلم العربية ، وأن الطالب الأجنبي والمستشرقين يجدون في تعلمها من المشاق ما لا يجدون مثله في تعلّم لغة أجنبية ، وكان من الأعضاء اثنان ذهبا إلى أن تلك الصعوبة من طبيعة اللغة العربية ، وأكد الثالث لرفيقه أن مردّ تلك الصعوبة إلى سوء أساليب التأليف والتعليم ، ولو أن العربية كانت تُعلّم للمبتدئين كما تعلم اللغة الأجنبية بالأساليب المنطقية الحديثة لما صعبت حين خفيت عليهم مطالبها ، واستعجمت مذاهبها ، وذكرت في هذه الندوة كثرة الأسماء في العربية للمسمى الواحد ، وأنها مما يتحير له البادئ فلا يدري بأيها يأخذ ، ولا أيها هو بالاستعمال أجدر وأولى .

(١) التلفاز استعملها مجمع اللغة العربية بدمشق للتلفزيون وهي على وزن تبيان وجلواز ، وتشتق منها التلفزة مصدراً .

ونحن رأينا بعض تلك المصاعب أيام الطلب ، ومنها كثرة الوجوه في الإعراب ، والتعليل النحوي والصرفي ، ثم عرفنا بعد ذلك أن أمثال تلك الصعاب إنما نشأت من سوء تأليف تلك الكتب للأحداث والمبتدئين ، ومن فقد حياء المعلمين المحكمين لصناعة التعليم والتفهم ، فمن سوء تأليف تلك الكتب المدرسية أنها مؤلفة على الطريقة التقريرية بقواعد يكثر فيها التجريد وتقل عليها الأمثلة والشواهد ، فهي بذلك فوق مستوى عقول المبتدئين الذين يجب أن يتدرّجوا في دروس القواعد ، من المحسوس الواضح إلى المجرد الغامض ، ومن السهل إلى الصعب ، والعلم البارع يبدأ بتعليم المفردات الفصيحة التي يحتاج إليها في الكلام ، ثم بتعليم تركيبها مع الأفعال تركيباً صحيحاً ، ثم يطالب تلاميذه باستعمال هذه التراكيب في محاوراتهم ومجاذباتهم ، ويعلمهم تصريف الأفعال الضرورية للمحادثة مجتنباً إياهم إعراب الجمل الصعبة وحفظ عباراته الطويلة التي يلوكونها ولا يدركون لها معنى ،

الشواذ والفواضل في اللغات الأجنبية . — وقتلنا خلت لغة أجنبية

من الشواذ ، وفي اللغة الفرنسية كثير من تلك الشواذ في النحو والصرف معاً ، وهي من طبيعة هذه اللغة التي اعتوروها بالإصلاح كثيراً ، ولم تتعرض لها كتب النحو عندهم ، ولا يذكر المعلم الفرنسي علل التحول في تصريف فعل الـكون مثلاً *verbe être* لكيلا يتحير عقل التلميذ في إدراك السر من تحول الفعل *je suis* في الحاضر إلى *je serai* في المستقبل ، أو في تحول فعل الذهاب *aller* ، لم يقول المتكلم *je vais* والمتكلمون *nous allons* وفي المستقبل *j'irai* ؟ وفي جموعهم كثير من الشواذ ، وليست المفردات تنتهي بحرف *s* في جموعها كلها ، فإن الطالب لا يدري لم كان اسم الشغل *le travail* يجمع *les travaux* ، ولم *mal* يجمع على *maux* و *chacal* ابن آوى لا يجمع مثلاً

ويجمع على des chacals بحرف s لا ب aux ؟ ولو سأل الطالب معلمه عن سر هذه الشواذ لقال له : هكذا يتكلم الفرنسيون جواباً على السؤال ، وكفى الله المتعلمين شرور العبل والجidal .

ومن صعوبة الرسم في الفرنسية أن من الأحرف ما يكتب ولا يلفظ كعلامة الجمع ent في جميع التصاريف ، ولا يدري الطالب لم يكتب اسم البنت la fille بلامين يلفظها ياءً ، ولا يكتب كذلك اسم الحياة la vie ؟ ولو أردنا استقراء هذه الشواذ والمشاكل في اللغة الفرنسية ، ولا يعرف الطالب العربي لتفسيرها وتعليلها وجهاً منيراً ، لخرجنا من موضوعنا إلى غيره .

طريقة التهجي القديمة . — لقد كان تعلم القراءة قديماً آلياً بصيغ يلوکها المبتدئ في التهجي ، ولا يفقه لها معنى ، أيام كان شيوخ الكتائب لا يفكرون في تيسير القراءة على الصبيان ، فكانوا يرقصون أمام شيخهم وهم يقرؤون ألوأهم ، وأنا ممن تعلم على هذه الطريقة المنهكة المضحكة ، ثم أخذ رجال التربية والتعليم إبان النهضة الفيصلية ، وعلى رأسهم المربي العربي الكبير الأستاذ ساطع الحصري الذي عالج على عهد الملك فيصل الأول مشكلة القراءة العربية فوضع (مبادئ القراءة الخلدونية) وهي أول رسالة عربية في القراءة الصوتية ، ثم جرى المعلمون بدمشق وغيرها على طريقته هذه المثلى .

وبذلك عولجت القراءة العربية وأصبحت بفضل الطريقة الصوتية سهلة على المبتدئ العربي سهولة الفرنسية على المبتدئ الفرنسي ، وبقيت قضية الكتابة العربية والإملاء ، وبالطريقة الصوتية أيضاً ذلت صعابها برسم مقاطع الكلمات بحسب أصواتها المسموعة فيكتب التلميذ كما يسمع « والضحا ، والليل إذا سجا » (١) بالألف مطلقاً فلا يشغل صدره الضيق وعقله المحدود بالحالة التي

(١) هذا رأي في التيسير للصبيان .

يكتب فيها الاسم أو الفعل بالألف في آخرها ، ولا بالحالة التي يكتب آخرها بالألف المقصورة كالفتى والعصا ؛ وقد أجاز الإمام الفراء مثل هذه الكتابة تيسيراً لها ، كما أجاز الإمام مالك كتابة المصاحف بغير الرسم العثماني تيسيراً على الصبيان الذين يقرؤون القرآن .

تيسير الكتابة بالطريقة الصوتية . — وكنت قد وضعت لوزارة المعارف السورية رسالة في الكتابة الصوتية نشرتها في مجلتها التربوية وطبعتها رسالة على حدة ، ويذهب اليوم كثير من المعلمين هذا المذهب في تعليم الكتابة ؛ على أن في الفرنسية كما يتناه وفي الانكليزية والألمانية كثيراً من هذه المشكلات الكتابية والحروف التي تكتب ولا تقرأ ، ولم يقل المشرفون على تعليم هذه اللغات غيراً عليها وحرمة لسلفهم بوجوب حذف زوائدها وتبديل قواعدها . هذا وقد تحسنت أصول تعليم القراءة والكتابة في أيامنا هذه كثيراً ، كما صلحت كتب النحو والصرف المدرسية التي حذا مؤلفوها حذو كتب المعلمين للغات الأجنبية ، فلا نرى فيها تلك الفلسفة الإعرابية ولا التحاويل الصرفية التي لا يرجع الطالب منها إلى محصول ، ولا تسفر له عن معنى معقول ، وليس في هذه الكتب ما يتعب المبتدئ حفظه من المفردات الفصيحة المختارة ، ولا من كثرة الأسماء المسمى الواحد كما زعمت الندوة التلفازية ، فهو لا يتعلم إلا اسم السيف ويركب عليه جملة الكلامية ؛ وأما بقية أسمائه ، وهي في الواقع من صفاته ، فموضعها بطون المعاجم اللغوية ، والأدباء من الدارسين للأدب العربي في حاجة ماسة إلى البحث عنها لفهم هذا الأدب ، شعراً وثوراً ، وبما ذكرناه يتضح لنا أن تلك الصعوبة التي يميون بها اللغة العربية ترجع إلى سوء التأليف وضعف صناعة التعليم .

لجنة تيسير القواعد المصرية . — وهذه لجنة تيسير قواعد اللغة العربية التي أُلِّقَتْها وزارة المعارف المصرية (١) ، ترى من تيسير تعليم العربية حذف ذلك الإعراب الفلسفي التقديري والمحليّ معاً ، بل ذهبت إلى حذف كل إعراب غامض كإعراب صيغ التعجب والتحذير والإغراء والندبة والاستغاثة والمدح والذم ، بل ترى أن تحذف من علم الصرف ما هو من أبحاث فقه اللغة ، وأن لا تبقى منه إلا ما يحتاج المبتدئ إليه من تصريف الأفعال ، وما لا يستغني عنه في البيان .

ونحن من الإصلاح اللغوي لا نزيد إصلاح اللغة بل إصلاح أساليب تعليمها وطرق تأليف كتبها ، فيبقى جوهر اللغة سليماً . وأذكر أنني - أيام كنت مفتشاً للغة العربية - شاهدت معلماً في حلب كتب على اللوح الأسود صيغتي التعجب ؟ « ما أسهله وأسهيّل به » وعجز عن إيفهام تلاميذه إعراب الصيغتين كما عجز طلابه عن فهم كلامه ، وكان أحد الأذكياء منهم يقول لأستاذه : أنا لا أفهم كيف يكون فعل الأمر فعلاً ماضياً في إعراب (أسهّل به) حين تقول (أسهّل) فعل ماض جاء على صورة الأمر ، ولم يدرك في إعراب (به) من هذه الصيغة كيف تكون الهاء المكسورة فاعلاً ، والفاعل لا يكون إلا مرفوعاً !

ولذلك أحسنت لجنة تيسير القواعد المصرية باقتراحها أن يقال في إعراب جملة التعجب (ما أسهّل النحو) : إنها صيغة تعجب والاسم المتعجب منه بعدها منصوب ، وكذلك في إعراب (أسهّل به) يقال (أسهّل) صيغة

(١) بمساعي وزيرها الثبور سمي الدين بركات ، ومن أعضائها طه حسين وأحمد أمين وإبراهيم مصطفى وعلي الجارم .

تعجب والاسم بعدها مكسور مع حرف الجر؛ واقترحت في إعراب عبارات التحذير والإغراء مثل إِيَّاكَ والنَّارَ ، أو (النَّارَ النَّارَ) أن يقال في كل من هاتين الجملتين أنها صيغة تحذير والاسمان بعدها منصوبان ليس غير ، ولا حاجة إلى تقدير العامل .

من أسباب الصعوبة كثرة ومروء الإعراب . — وحسبنا منها أن نذكر كثرة تلك الوجود في إعراب مثل (ان هذان لساحران) فقد ذكر النحاة قديماً أن لإعرابها وجوهاً ستة ، كما ذكروا في إعراب البسملة تسعة أوجه سبعة منها جائزة الإعراب ، ووجهان لا يجوزان وهما :

إن ينصب الرحمن أو يرتفعاً فالجرُّ في الرحيم قطعاً منعاً ومثل هذا الإعراب الكثير الوجوه والإعنات ، ممّا يقصد ببعضه الامتحان والمعاينة ، وكان كثير من الطلاب يكرهون لأجله درس النحو بالأزهر ، وفرَّ بعض الأئمة من الأزهر كله راجعاً إلى قريته ، ولولا أن تداركه بعض أقربائه الذي أدرك سر فراره ، وأخذ يلقيه مبادئ النحو متدرجاً به المحسوس إلى المعقول . ومن السهل إلى الصعب ، ففهم بذلك من معلمه القريب اللبيب ما لم يستطع فهمه في الأزهر ، والتذُّّ بالنحو ودروسه فرجع إلى الأزهر ، وهو أفهم وأعلم من رفقاته الذين لم يظفروا بمثل معلمه البارِع في أصول التعليم ، ولولاه لما أصبح من علماء الأزهر وأئمة المسلمين المصلحين ، وذلك ممّا يثبت أن صعوبة اللغة العربية هي من سوء التعليم وفساد طريقة التلقين والتفهم ، وإن هنالك من اللغات ما هي أصعب من العربية وبتعلمها الطالب لحسن أساليب التعليم بأسرع وقت وأيسر سبيل ، والمبتدي العربي والأجنبي في ذلك سواء .

كثرة التجريد في فروع النحو . — وقد انتبه لما في قواعد النحو من التجريد الذي لا يلائم مدارك الصبيان الأستاذ ساطع الحصري في كتابه (دروس في أصول التدريس) (١) كتعريف الفعل الماضي في بعض الكتب على الوجه التالي : « الفعل الماضي ما يدل على معنى مستقل بالفهم والزمن جزء منه » ، فيقول الأستاذ : لا شك ان هذا التعريف مجرد جداً فلا يلائم مدارك الأطفال ، وزد على ذلك انه غير جامع ولا مانع ، لأن هنالك كثيراً من الكلمات التي لها معنى مستقل بالفهم والزمن جزء منه ، كما جاء في التعريف مع أنها لم تعتبر من الأفعال باتفاق جميع علماء اللغة مثل قديم ، سريع ، ماضٍ ، آتٍ ، متأخر ومستمر وهلم جرأً ، فيجب علينا أن لا نعتمد على هذا التعريف ، وأن نرجع عليه التعريف الذي يستند إلى مفهوم الحديث : « الفعل ما يدل على حدث مقترن بزمن » .

كذلك التعريفات المبنية على الإعراب لا على المعنى مثل تعريف الفعل اللازم على الصورة التالية : « الفعل اللازم ما لا ينصب المفعول به » ، والفعل المتعدي ما ينصب المفعول به » فلا حاجة بنا إلى ذكر أن هذا التعريف بمثابة تعريف الشيء بما هو أغمض منه ، وبما يحتاج إلى تعريف أكثر منه ، إذ ليس من الممكن أن يعرف التلميذ ما إذا كان للفعل مفعول به أم لا ، فلا يجوز أن يقال ذلك بل يجب أن يقال : « ان المفعول به يلفظ منصوباً ، وإن الأفعال اللازمة لا يكون لها مفعول به » .

ثم نرى هذا المؤلف الحاذق ينتقل إلى بحث علامات الكلمات وإلى تعريفها وتوضيحها فيقول ما نصه : واعتادت الكتب المدرسية أيضاً أن تذكر تلك

العلامات فتقول : علامة الماضي أن يقبل تاء الفاعل أو تاء التأنيث الساكنة ،
وعلمة المضارع أن يصح وقوعه بعد (لم) وأن يتدىء بحرف من حروف
أنيت ، وعلامة الأمر أن يقبل نون التوكيد (١) .

لذلك نرى معظم المعلمين (قديماً وحديثاً) يهتمون بتعليم هذه العلامات
وباستجواب الطلاب فيها ، وكثيراً ما يسألونهم عندما يحییهم أحد التلاميذ بأنه
ماض أو مضارع : كيف عرفت ذلك ؟ هل يقبل تاء الفاعل ، هل يصح
وقوعه بعد لم ؟ هل يتدىء بأحد حروف أنيت ؟ وهلم جرا ...

ومن المعلوم أن علامة الشيء منطقياً يجب أن تكون أوضح وأظهر من
الشيء نفسه ، فتعليم علامة ما لا يكون مفيداً إلا إذا كان فهمها وتمييزها
من غيرها أسهل بكثير من فهم الشيء نفسه وتمييزه من غيره ، أما العلامات
المذكورة فلم تكن من هذا القبيل .

ومن البديهيات أن تميز فعل الأمر بحسب معناه أسهل بكثير من معرفة
ما إذا كان يقبل نون التوكيد أو لا ، بل أسهل من معرفة نون التوكيد نفسها
إذا كانت متصلة بالكلمة ولا حقة بها حقيقة ، وكذلك تعريف الفعل الماضي
بالنظر إلى معناه أسهل من معرفة ما إذا كان يقبل تاء الفاعل أو تاء
التأنيث الساكنة .

(١) ويقول ابن هشام في كتابه (شذور الذهب في كلام العرب) ما نصه : « والفعل
إما ماض وهو ما يقبل تاء التأنيث الساكنة كفامت وقعدت ؛ أو مضارع وهو
ما يقبل (لم) كلم يقم . وافتتاحه بحرف من تأيت مضموم إن كان الماضي رباعياً
كأدحرج وأجيب ، مفتوح في غيره كأضرب وأستخرج ؛ أو أمر وهو ما دل
على الطلب مع قبول ياء المخاطة كفومي . أقول : ونرى ابن هشام يميز فعل الأمر
بحسب معناه قبل العلامات كما يريد الأستاذ المصري .

ذلك لأن هنالك كثيراً من الكلمات التي تبتدىء بالتاء أو تنتهي بها ، وليست مضارعاً ولا ماضياً ولا فعلاً ، فكلمات (تابوت ، حانوت ، بنات ، نبات) هي من هذا القبيل ؛ أما القول بأن التاء في هذه الكلمات هي من المادة الأصلية فإنها لا تبطل الملاحظات الآتية ، لأن معرفة المادة الأصلية وتمييزها من مزيداتها أصعب من معرفة الأفعال ومن تمييز بعضها من بعض ، زد على ذلك أن كثيراً من الكلمات تبتدىء بتاء مزيدة على المادة الأصلية وهي ليست فعلاً مضارعاً مثل تورط ، تبارك ، تكرر وهلم جرا .

كذلك نرى الأستاذ يذلل كثيراً من صعاب تعليم القواعد بطرق صحيحة معقولة ، وهو مما يدل على أن مرد أكثر تلك الصعوبة إلى سوء التأليف والتعليم لا إلى طبيعة اللغة العربية ، فإن في اللغات الإغريقية واللاتينية والألمانية من المشاكل ما هو أعضل من مشاكل العربية التي يقول في منطقيتها رئيس القسم العربي لطلابه في مدرسة الدراسات الشرقية بلندن (١) :

« إن اللغة العربية إنما يسلس لكم قيادها إذا استغنم عليها بالنطق السليم » .

طريقة التعليم بالنصوص . - وذلك باختيار كتب للقراءة مؤلفة من نصوص عربية مختلفة ، يتمرّن الطالب الإعدادي حين القراءة في الدرس على أن ينطق المفردات والمركبات نطقاً صحيحاً ، ويستعين بفهم النص على معرفة مواقع الكلمات وحركات حروفها الأخيرة ، فإذا لفظ كلمة مرفوعة سأله المعلم عن سبب الرفع ، وعن سبب نصبها أو جرّها إن نطق بالكلمة منصوبة أو مجرورة ، كما يسأله عن العوامل وعمل كل منها ، وبذلك

(١) ورئيس القسم العربي هذا هو السير طوماس آرنولد كما جاء في رسالة الأستاذ اسحق موسى الحسيني : (رأي في تدريس اللغة العربية) .

ترسخ القواعد التي درسها في ذهنه ، وتقوى فيه ملكة القراءة الصحيحة ، وبذلك تتوحد لهجات أبناء الصف إن كانوا من مناطق مختلفة ، ويتعلمون كثيراً من الألفاظ والجمل القوية التركيب ، ويحسن بالمعلم البارع اتخاذ هذه الطريقة في الصفوف الإعدادية والثانوية ولا يكلمهم فيها إلا بجمل صحيحة وألفاظ فصيحة ، وأفضل طريقة لتعليم العربية للمبتدئين هي طريقة المحادثة التي سنبين مزاياها ، وبما ذكرناه يتضح لنا جلياً أن تلك الصعوبة المبالغ فيها مردّها إلى جهل المعلم بأساليب التدريس ، وإلى سوء تأليف كتب المبادئ التي يتعاور قواعدها النحوية كثير من التجريد والتعقيد ، فليست تلك الصعوبة إذن من طبيعة اللسان العربي البين .

أسباب سرعة الإعراب . — فمن أسباب صعوبة الإعراب في لغتنا أن لا يوجب المعلم على طلابه حيناً يتعرّضون لإعراب آية من الكتاب أو بيت من الشعر أو قول من النثر ، أن يهتموا بادي الرأي بفهم معنى ما يعربونه فيهاً صحيحاً ، ولا يسرعوا في الإعراب قبل ذلك بالعبارات التي اعتادوا أن يعضنوها ولا يفهموها ، فكثيراً ما تزلّ قدم المعرب بهذا الاسراع ، وقد نبّه لذلك الإمام ابن هشام في مغنيّه حين ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض بها على المعرب ، فأكد أن الجهة الأولى أن يراعي المعرب ما يقتضيه ظاهر صناعة الإعراب ، ولا يراعي المعنى ، قال : وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك ، وذكر لذلك أمثلة جمّة منها ما حكاه بعضهم أنه سمع شيخاً يعرب لتلميذه (قيماً) من قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ، قِيماً﴾ (١)

(١) من الآية الأولى والثانية من سورة الكهف وهما : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قِيماً لينفر بأساً شديداً من لدنه ويشتر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً » .

فجعل (قيماً) صفةً لـ (عوجاً) ، قال ابن هشام فقلت له : يا هذا ، كيف يكون العوج قيماً ! وترّجّمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في (عوجاً) وقفة لطيفة . دفعاً لهذا التوهم ، وإنما (قيماً) حال من اسم محذوف هو وعامله أي : أنزله قيماً .

إعجاب المستشرقين بالإعراب . — ومن شيوخ المستشرقين من جعل الإعراب من مزايا اللغة العربية ، وهو الأستاذ ماسينيون الذي قال في بحث له بمجلة مجمع مصر اللغوي (١) ما نصه : « إن اختراع الإعراب ليس كما يزعم أكثر المستشرقين اختراعاً باطلاً ، وإنما هو توحيد صحيح وربط بين الأسماء والأفعال المضارعة والجمل التي لها محل من الإعراب ، وهذا اللغة العربية فضل عظيم لا يمكن إبقاؤه إلا بالاستمسك بالكتابة العربية ، إلى أن يقول : وقد ذكرت كيف آمنت ببقرية النحو ، ورفضت مذهب تغيير الكتابة العربية بحروف لاتينية . »

اختلاف لغة الخطاب عن لغة الكتاب . — على أن من الأسباب الأساسية لصعوبة تعليم العربية اختلاف اللغة العامية عن اللغة الفصحى ، والمعلمون البارعون يذلون جهادهم للتغلب على هذه العقبة بتمرين التلاميذ على التكلم بجملة صحيحة وألفاظ فصيحة بطريقة المحادثة والاستجواب ، ولا يكلمهم المعلم ولا يلقي عليهم الدرس إلا باللغة الفصحى ، لأن التلميذ الذي لا يسمع من معلمه إلا التراكيب الصحيحة والمفردات العربية يسهل عليه التخاطب بمثل ما اعتاد سماعه ، كما كان الصبي العربي في صدر الإسلام

لا يتكلم إلا بالفصحى التي يسميها في منزله من والديه ، ومن أقربائه وأترابه في بيته ومرباه ، فهو يعرب بالسليقة العربية فيرفع بطبعه الفاعل الذي يفعل الفعل ، وينصب المفعول ويجر الأسماء بعد حروف الجر وعند الإضافة ، ذلك أن الصبيان يتعلمون بآذانهم قبل ألسنتهم ، وانطبأهم على لغة الأسماع يسهل عليهم تركيب الجمل العربية القوية ، ويسر عليهم فهم قواعد اللغة المستنبطة من الكلام العربي القويم ، وهو ما يسرعون معه في فهم القواعد لمشايتها لأصول كلامهم الذي به يتخاطبون .

وذلك مما يوجب علينا أن نعوّد أبناءنا التكلم بالفصحى ، وأن لا نكلمهم في منازلنا ، إن استطعنا ، إلا بالفصحى ، ويكثر المعلم من استجوابهم بالفصحى ، وهو مما يوجب علينا أن لا نشرع في تعليمهم لقواعد لغتهم إلا بعد بضع سنين من التمرين الشفهي والمحاذة بلغة صحيحة ، والطالب الأجنبي والمستشرق يجب أن يتعلم في كتب مؤلفة على غط الكتب التي تعلم بها لغته ، وأن لا يشرع في تعلم قواعد النحو والصرف إلا بعد أن تقوى لغته العربية بطريقة المحاذة ويستطيع الإجابة بالجمل العربية الصحيحة ، وطريقة المحاذة هذه هي لتعلم اللغات الطريقة الطبيعية والسليقة المثلى .

وبهذه الطريقة نرى أن الصبي العربي الذي اكتسب ملكة الإفصاح عما في قلبه ، يستطيع الانتباه إلى الجمل غير القوية ، شأن ذلك الأعرابي الذي كان إذا كلموه في القرى بلغة غير صحيحة مجّها فوه ، وردّها بسليقته العربية ، ولسان حاله يقول للنحوي الذي لا يبين :

ولست بنحوي بلوك لسانه ولكن سليقي أقول فأعرب

التروفي



الأسلوب هو الرجل

من الأقوال التي انتقلت إلينا من الأدب الفرنسي قول « بوفون » :
الأسلوب هو الرجل ، وقد فُيِّرَ هذا القول على غير وجهه ، سواء أكان
هذا التفسير صادراً عن بعض أدباء فرنسة أم كان صادراً عن بعض أدباء
العرب في هذا العصر ، ولا بأس بتوضيح فكرة « بوفون » بعد يسير
من المقدمة .

ظهر « بوفون » في القرن الثامن عشر ، واشتهر بكتابه « التاريخ الطبيعي »
وبخطابه في المجمع العلمي الفرنسي وموضوعه « الأسلوب » ، أمّا تاريخه الطبيعي
فلا أتعرض له في هذا المقام ، فهو يدخل في باب العلم ، وحسي الإشارة
إلى أن السبيل القويم إلى تقدّم العلم في نظر « بوفون » إنما هو الوصف ،
فالعلم يلزمه أن يرى كثيراً وأن يصف بعد الرؤية ما ظهر من الخصائص
وما بطن ، وأن يعمل على هذا النحو تاريخ النوع .

غرضي في هذا المقال الإلماع إلى خطاب « بوفون » : الأسلوب ، وعلى
وجهٍ أصح إلى جملةٍ من هذا الخطاب ، وأرى أن نعلم تعريف « بوفون »
للأسلوب ، فقد عرفه على هذا الشكل : الأسلوب إنما هو الترتيب الذي
يدخله المرء على أفكاره ، والحركة التي يجعلها في هذه الأفكار ، وهو
يعني بالحركة السرعة الناشئة عن تسلسل الأفكار المنظم .

ولكن ما هي جملة « بوفون » التي يدور عليها هذا المقال ؟ قال « بوفون » :
الأسلوب هو الرجل ، وقد ظنَّ بعض الأدباء أن « بوفون » أراد بهذا القول

أن الأسلوب هو الذي يرسم خصال المرء وسجاياه ، فهو المرأة التي ترينا باطن الإنسان ، فلا نمرّ بأسلوب كاتب من الكتاب إلاّ مررنا خلال هذا الأسلوب بكل دقيق وجليل من طبائع الكاتب وشيمه وما شاكل ذلك .

قد يكون في هذا التفسير وجه من الصواب في بعض الحالات ، فمن أقوال «موروا» في هذا المعنى : كل أثر من آثار الفن يكشف الغطاء في وجه من الوجوه عن بواطن روح صاحبه ... أجل ، قد يكون الأسلوب مرآة الرجل ، فالكاتب الرقيق القلب قد تظهر رقيقته على بعض كتابته ، والشاعر الغليظ الروح قد تبين غلظته في شعره ، إلاّ أن «بوفون» لما قذف بعبارته المشهورة لم تكن غايته أن يقول إن الأسلوب هو الذي يرسم خصال المرء وسجاياه ، وإنما الذي أراد أن يوضحه إنما هو هذا الأمر : في كل أثر من الآثار الفنية ، الصيغة والتأليف هما وحدهما من صنع الرجل ، من داخله ، أمّا الأفكار فقد تأتيه من الخارج ، وقد عبّر عن الأفكار بلفظة الأشياء فقال : هذه الأشياء إنما هي من خارج الإنسان ، الأسلوب هو الرجل ذاته ، معنى هذا أن المؤلف تأتيه أفكاره من خارج نفسه ، ولكنه هو الذي يصوغها ويؤلفها ، فالصيغة والتأليف من عنده ، ودفعاً لهذا اللبس المستفيض اقترح بعض نقّاد فرنسة أن تُقرأ عبارة «بوفون» على هذا الوجه : الأسلوب إنما هو من الرجل نفسه ، بدلاً من القول : الأسلوب هو الرجل ، وأي بأسٍ بعد هذا كله بأن تقول : الرجل هو الأسلوب ؟

وقبل النظر في قول «بوفون» لا أرى محذوراً في إمضاء القول في الأسلوب ، فاذا قلنا : الأسلوب ، فأتينا نفي بذلك المذهب الذي يذهب كل واحدٍ منّا في التأليف بين ألفاظه ، فالأسلوب لا يراد به اللفظ وحده ،

وإنما يراد به التأليف بين الألفاظ ، يراد به تنسيق هذه الألفاظ وترتيبها ، إذ أن الأسلوب يختلف عن الألفاظ ، فقد يجوز أن يستعمل مؤلف من المؤلفين ألفاظاً صحيحة وأن يدخل الضيم على أسلوبه ، فيكون هذا الأسلوب جافاً ، غير مطبوع ، وعلى هذا فإن الذين يحملون للأسلوب المقام الأول يفرقون بين الأسلوب واللفظ ، فالأسلوب شيء واللفظ شيء آخر .

وكما أن الأسلوب يختلف عن الألفاظ فقد يختلف عن العلم ، فقد نجد علماء ملاء العلم أذهانهم ولكنهم في ميدان الكتابة نجدهم ككتاباً غير مجودين ، فقد نمت فيهم ملكات العقل وصحة التمييز والذاكرة ، ولم ينم فيهم الحس والخيال ، فنشأ عن ذلك أن أسلوبهم غير جذاب ، لا لطف فيه ولا حرارة .

وقد تختلف الأساليب على اختلاف الرجال والأمم ، فالرجل صاحب الفهم الثاقب أسلوبه سريع ، وجيز ، ملم ، والرجل الذي يغلب عليه الخيال له تعابير برّاقة ، مصوّرة ، والرجل الذي يعوزه التمييز لا تربط جملة وأجزاء تأليفه صلة من الصلات .

وهذا الاختلاف نشده في الأمم نفسها ، فأهل الشرق ، وهم أصحاب خيال ، قد حملوا أساليبهم بي كل زمن من الأزمان صوراً قويّة تظهر عليها آثار الغلو ، وأهل أثينة ، وهم شعب مصقول ، لين ، قد جعلوا لأنفسهم أسلوباً واضحاً ، صافياً ، أمّا اليونانيون في آسية ، وهم أصحاب خفخة وبهرجة ، فقد كان لهم أسلوب فيه ثرثرة وانتفاخ .

فلندخل الآن في موضوعنا ، ولنتظر في الذي ذهب إليه « بوفون » من أن المعاني تأتي من خارج الإنسان ، وأن الصيغة والتأليف إنما هما وحدهما من صنعه .

إننا نجد في الأدب الفرنسي أن « فولتير » لم يكن مبدعاً من المبدعين ، أي لم يأت بشيء جديد من الأفكار والمعاني ، فقد كان لا يستطيع أن يسلك مسلكاً إلا إذا كان هذا المسلك مُمَهِّداً له ، فقد اغتصب أفكار غيره وجعلها أفكاره الخاصة ، جعلها ملكه الخاص ، فقد قالوا إنه لم يكتب بالفرنسية كاتب أحسن من « فولتير » ، إن جملة قصيرة ، سريعة ، وعبارته واضحة ، وأوضح صفات أسلوبه البساطة ، إنه يستخدم لغة كل الناس في أسلوب لا يفوقه أسلوب من حيث الطبع والسهولة .

إننا نجد في هذا الوصف الذي تشتمل عليه بعض كتب الأدب الفرنسي ما يؤيد قول « بوفون » من أن الأفكار تأتي من الخارج ، أمّا صيغتها وتأليفها فأنها من صنع الرجل نفسه ، فقد نهب « فولتير » أفكار غيره ، ولكنه استطاع أن يجعلها ملكه الخاص بفضل أسلوبه وبفضل مزايا هذا الأسلوب التي تقدمت الإشارة إليها .

ولقد قال بعض نقّاد الانكليز في كتبهم العظيم « برنارد شو » ما يقرب من قول الفرنسيين في كتبهم « فولتير » ، فقد كان « شو » يعرض أفكاره على شكل بديع ، وإن لم يكن مبدعاً لهذه الأفكار على الرغم من عبقريته وقوة حجته .

يُستنبط من كل ما تقدم أن الشأن كل الشأن إنما هو للأسلوب ، أي لصيغة الأفكار وتأليف المعاني ؛ وقد ذهب هذا المذهب كبار الكتّاب في فرنسا ، أمثال فولتير ، و « فرانس » و « فاكه » و « موروا » وغيرهم ، فمن كلام « فولتير » أن الأشياء تؤثر فينا في الأغلب من نواحي أساليبها ، أي من نواحي القوالب التي تصبّ فيها ، لأن للناس أفكاراً واحدة بوجه التقريب ، ولكن الأسلوب هو الذي يفرّق بين كاتب وكاتب .

ومن كلام «فرانس» : ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه ، وإنما هو ملك الذي يثبتّه في الأذهان .

ومن كلام «فاكه» أن الذي يخلّد الكاتب إنما هو حسن الأسلوب .
وقرب من هذا الرأي قول «موروا» : الصيغة في أي أثرٍ من آثار الفن إنما هي سرٌّ من أسرار البقاء .

أمّا كتّاب العرب الذين هم على هذا الرأي فيأتي على رأسهم إمام البلاغة ، وأعني به الجاحظ الذي قال :

« المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي ،
وإنما الشأن في إقامة الوزن وتجوير اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة
الطبع ، وجودة السبك » .

وقد تصدّى أستاذ فاضل من أساتذة جامعة القاهرة لقول الجاحظ ،
وأخذه بهذا القول ، ولامه على استخفافه بمقادير المعاني وتفضيل الألفاظ
عليها ، ورأى أن الذي حمل الجاحظ على أن ينزع هذه النزعة إنما هو
أمر ديني ، فقد كان يرى أن القرآن معجز بنظمه وتأليفه ، وهذا ما حمله
على تعظيم الألفاظ والتهاون بالمعاني . إني لا أريد أن يتشعب الموضوع حتى
لا يتعمّد ، فلا أرى مناظرة الأستاذ الفاضل في هذا المعنى ، فإني أعتقد
أنهم خرجوا بكلام الجاحظ عن طبيعته ، إنه لما قال : المعاني مطروحة في
الطريق ، لم يختلف في قوله عن قول «بوفون» : الأفكار تأتي من الخارج ،
فالجاحظ لم يستخف بالمعاني وإنما عبّر عن سهولة الحصول عليها ، فكأنها
مائلة لكل عين ، فاذا مرّ أحدنا في الطريق بفقر رث الثياب ، يكاد
ينسلخ لحمه عن عظمه من الجوع ، أفلا نجد في هذا الشهد معنى من المعاني
الدالة على البؤس ؟ إلا أن تمثيل هذا المعنى للأذهان إنما هو من عمل

م (٢)

الأسلوب ، أي من عمل الصيغة والتأليف ، من عمل السبك وحسن النظم ؛ وكتب الجاحظ تدلّ على محاسن هذه الصيغة والسبك والنظم وما ماثلها ، إنها تدلّ على براعة الأسلوب ، ومماذ الله أن تهمة بالإقلال من مقادير المعاني والأفكار وتآليفه كلّها قد غصّت بالمعاني والأفكار على اختلاف وجوهها ، في كل باب من أبواب الفلسفة والأخلاق والتربية والاجتماع والعلم وما شابه ذلك ؛ فإذا كان الجاحظ لم يتهاون بالأسلوب فهو لم يتهاون بالمعاني ، إلاّ أنه كان ماهراً كلّ الماهر ، يعرف كيف يناسب بين ألفاظه ومعانيه ، فهو كالخياط الحاذق الذي يفصّل الأثواب على مقادير الأجسام ، ولست في حاجة إلى المجيء بالبرهانات الصادقة على اهتمامه بالمعاني والألفاظ معاً ، وفي كتابه : البيان والتبيين كثير من الشواهد على هذا الأمر ، إلاّ أن المقام لا يتسع للإفاضة في هذا الموضوع ، فلماذا نأخذ كلام الجاحظ على ظواهره ولا نتعمق قليلاً في بواطنه ؟

لقد تباينت نظرات نقّاد العرب في شأن المعاني وصيغتها أمثال ابن قتيبة والمسكري وابن رشيق وابن الأثير ، إلاّ أن لهذا الموضوع مقاماً يختلف عن موضوعنا ، أصل الموضوع توضيح فكرة « بوفون » : المعاني تأتي من الخارج ، أمّا نحن فنملك صيغتها وتأليفها ؛ فالأسلوب هو من عندنا ، والمعاني من خارجنا ، فليس موضوعنا تفضيل المعنى على اللفظ أو تفضيل اللفظ على المعنى حتى ندخل في هذه التفاصيل .

لقد دفعت إغارة الشاعر أو الكاتب على أفكار غيره بعض نقّادنا في القديم إلى نسبة السرقة إلى هذا الشاعر أو هذا الكاتب ، على أن العرب قد تشرك في طائفة من الألفاظ والمعاني ؛ وقد عمل الآمدي كتاباً في هذا الموضوع ، فقد جاء في معجم الأدباء أن له كتاب الخصاص والمشارك ، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشرك فيها العرب ولا ينسب

مستمليها إلى السرقه وإن كان قد سبق إليها ، وبين الخالص الذي ابتدعه الشعراء وتفرّدوا به ، وما قصّر الآمدي في إيضاح ذلك وتحقيقه ؛ وقد فطن ياقوت إلى هذه المسألة فقال : أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات إنما هو من باب توارد الخواطر .

ولا ريب في أن الذي لا يدخل في باب توارد الخواطر إنما هو أن يغير المؤلف على أفكار غيره ، فنيها بالفاظها نفسها ، فهذا يدخل في باب السرقات ، أمّا إذا أعار المؤلف على أفكار غيره ، كما فعل « فولتير » فأفصح عنها بأسلوبه الخاص ، بأسلوب يجمع خصائص البلاغة ، فهذه الإغارة تأتي مؤيدة لقول « بوفون » الأسلوب هو الرجل ، أو بعبارة أوضح إذا جاز لي هذا التصرف : الرجل هو الأسلوب .

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٦ -

الرواقية

Stoïcisme في الفرنسية

Stoicism في الانكليزية

مذهب زينون (Zénon) وكليانت (Cléanthe) وكريزيب (Chrysippe) ومنسكا ، وابكتاتوس ، ومرقص أورليوس ، وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان ، وقد سموا بالرواقيين لأن (زينون) الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق .

والرواقي (Stoïcien) يرى أن السعادة في الفضيحة ، وإن الحكيم لا يبالي بما تفعل به نفسه من لذة وألم ، حتى إن عدم مبالاته بالألم قد يبلغ درجة النفي والإنكار . وكل من كان رواقياً كان مطمئن النفس ، رابط الجأش ، صابراً لا يفرح بشيء ، ولا يحزن على فقد شيء ، ولا يبالي بما يصيبه من بؤس وشقاء . وإذا كان الرواقي يعيش عيشة راضية مرضية فمرد ذلك إلى اعتقاده أن الإنسان جزء من الكون ، وإن غايته أن يجعل سلوكه مطابقاً لما تمليه عليه الطبيعة ، منصرفاً عن المواطن والأفكار التي تحيد عن جادة القانون الطبيعي .

ومعظم الرواقيين يرون أن المادة تتجزأ إلى غير نهاية ، وأن النار أصل الوجود ، وأنها توحد أجزاء الجسم ، وتربط أجزاء العالم بعضها ببعض ، وإن العالم لا ينفصل عن الله .

- ٤١٢ -

زبدة الشيء

في الفرنسية Quintessence

في الانكليزية Quintessence

زبدة الشيء خياره وخلاصته . وأصله في اللاتينية (Quinta essentia) أي العنصر الخامس ، أو الجوهر الخامس ، لأن العناصر عند فلاسفة اليونان آمبدقلوس ، وآرسطو وغيرها) أربعة ، وهي التراب والماء والهواء والنار . أما السماء فهي مكونة من عنصر آخر ، وهو أعلى من العناصر الأربعة ومتقدم عليها ، ويسمى هذا العنصر السماوي بالعنصر الخامس . ويطلق لفظ (Quintessence) في أيامنا هذه على زبدة الشيء أي على أعمق ما فيه . فزبدة الشيء تمثل إذن خواصه الذاتية ، وتطلق على ما فيه من عيوب ومزايا خالصة مقومة له ، تقول زبدة الكتاب خلاصته ، وزبدة الأخلاق خيارها .

الزمان

في الفرنسية Temps

في الانكليزية Time

في اللاتينية Tempus , Temporis

في اليونانية Chronos

١ — الزمان الوقت كثيره وقليله . وهو المدة الواقعة بين حادثين أولاهما سابقة وثانيتهما لاحقة ، ومنه زمان الحصاد ، وزمان الشباب ، وزمان الجاهلية . وجمع الزمان أزمنة ، تقول : السنة أربعة أزمنة ، أي أقسام وفصول ، وتقول أيضاً : الأزمنة القديمة ، والأزمنة الحديثة .

٢ - والزمان في أساطير اليونانيين هو الإله الذي ينضج الأشياء ويوصلها إلى نهايتها .

٣ - والفرق بين الزمان والدهر والسرمد ان نسبة المتغير إلى المتغير هي الزمان ، ونسبة الثابت إلى المتغير هي الدهر ، ونسبة الثابت إلى الثابت هي السرمد .

٤ - لقد زعم (ارسطو) أن الزمان مقدار حركة الفلك الأعظم ، وذلك لأن الزمان متفاوت زيادة ونقصاناً ، فهو إذن كم ، وليس كماً منفصلاً لامتناع الجوهر الفرد ، فلا يكون مركباً من آتات متتالية ، فهو إذن كم متصل ، إلا أنه غير قار ، فهو إذن مقدار لهيئة غير قارة ، وهي الحركة .

٥ - وقد أخذ معظم فلاسفة العرب بهذا المعنى الارسطي ، إلا أن (المتكلمين) زعموا أن الزمان أمر اعتباري موهوم . وعرفه الأشاعرة بقولهم إنه متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم . وقال (الرازي) في المباحث الشرقية إن للزمان كالحركة معنيين : أحدهما أمر موجود في الخارج غير منقسم وهو مطابق للحركة ، وثانيها أمر متوهم لا وجود له في الخارج .

٦ - والزمان عند بعض الفلاسفة إما ماضٍ أو مستقبل . وليس عندهم زمان حاضر ، بل الحاضر هو الآن الموهوم المشترك بين الماضي والمستقبل .

٧ - ومن معاني الزمان في الفلسفة الحديثة انه وسط لا نهائي غير محدود ، شبيه بالمكان ، تجري فيه جميع الحوادث فيكون لكل منها تاريخ ، ويكون هو نفسه مدركاً بالعقل إدراكاً غير منقسم سواء كان موجوداً بنفسه كما ذهب إلى ذلك (نيوتون) و (كلارك) ، أو كان موجوداً في الذهن فقط

كما ذهب إلى ذلك (لينيز) و (كانت) . فما قاله (لينيز) : الزمان تصور مثالي ، ومما قاله (كانت) إن الزمان صورة عقلية محيطية بالأشياء الحدسية ، وإن المقادير المحدودة من الزمان ليست سوى أجزاء لزمان لا نهائي واحد . فكأن الزمان إطار محيط بالأشياء إلا أنه ذو بعد واحد وهو الطول . وأكثر العلماء يرمزون إلى الزمان بخط مستقيم غير محدود كل نقطة من نقاطه مجانسة للآخرى .

٨ — والزمان عند بعض المحدثين هو التغير المتصل الذي يجعل الحاضر ماضياً . قال (هنري برغسون) : « العقل ينفر من كل شيء سيّال ، ويحمد كل ما يتناوله . ونحن لا نفكر في الزمان الحقيقي بل نحيّا فيه ، لأن الحياة تطفئ على العقل من كل جانب » (التطور المبدع ، ص : ٥٠) . فالزمان الحقيقي . وهو الديمومة (*Durée*) يختلف إذن عن الزمان الرياضي أو الزمان العلمي ، وهو دفعة سيّالة ، أو مجرى متحرك ، أو تيار مستمر يجري أمام المدرك الواقف على شاطئ الحاضر ، ومنه قولهم مجرى الزمان ، وسير الزمان

٩ — ومعنى ذلك أن معنى الزمان قد يكون مرادفاً لمعنى الديمومة أو يكون مختلفاً عنه فإذا كان مرادفاً له دل على الوسط الذي تجري فيه الأفعال والحوادث ، كما في قولنا زمان سقوط الأجسام ، أو زمان الذوبان ، أو زمان الحالات النفسية ، وإذا كان مختلفاً عنه دل على الزمان المطلق أو الزمان المجرد .

١٠ — والزمان الوجودي هو الزمان الذاتي أو الزمان الوجداني المصبوغ بالانفعال كزمان الانتظار ، أو زمان الأمل . وهذا الزمان ليس كمّاً ، وإنما هو كيف لا يقبل القياس على خلاف الزمان الفاعل الذي يطلق على التأثير في الأشياء فهو موضوعي وكمي وقابل للقياس .

الزماني

Temporel في الفرنسية

Temporal في الانكليزية

الزماني هو المنسوب إلى الزمان ، أو الموجود في الزمان ، وهو مضاف للأبدي لأن الزماني يدل على المتغير ، والأبدي يدل على الثابت . ونسبة الزماني إلى الأبدي كنسبة المتناهي إلى اللامتناهي .

وفرقوا بين الزماني والأبدي أيضاً بقولهم إن الزماني متعلق بالحياة المادية ، على حين أن الأبدي متعلق بالحياة الروحية . ومن قولهم السلطة الزمنية ، والسلطة الروحية .

والزمانية صفة ما كان زمانياً ، وهي عند الوجوديين (Existentialistes) حركة تدفع المستقبل إلى الماضي حتى توصله إلى الموت ، أي إلى لحظة لا مستقبل بعدها .

ويطلق لفظ اللازماني (Intemporel) على ما كان ثابتاً خارج الزمان . لا تغيره صروف الدهر ، ولا تقلبات الأحداث .

الزمان المحلي

Temps local في الفرنسية

الزمان المحلي مضاف للزمان المطلق (Temps absolu) ، إلا أن القائلين بالنسبية ينكرون الزمان المطلق لزعمهم انه لا يوجد مقياس واحد للزمان ينطبق على منظومات مختلفة الحركات . وكل معية (Simultanéité) بين الحوادث الواقعة في أمكنة مختلفة فهي عندهم معية نسبية . بل الحادثان قد

تكونان موجودتين معاً بالنسبة إلى راصدٍ ، وغير موجودتين معاً بالنسبة إلى آخر لاختلاف المكان الذي يرصدانهما منه . ولكل منظومة زمانها الخاص بها ، أعني زمانها المحلي ، وهو وحده حقيقي .

وبينما نحن نجد (سبنسر) يرجع المكان إلى الزمان نجد (هنري برغسون) يرجع الزمان المتجانس (Temps homogène) - وهو ضد الديمومة - إلى المكان . أما علماء النسبية (Relativité) فيجمعون الزمان والمكان في مفهوم واحد ، وهو الزمان المكاني (Le temps - espace) .

الزمان الخاص

في الفرنسية Temps propre

يطلق اصطلاح الزمان الخاص على الزمان الداخل في العلوم الفيزيائية ولا سيما في مذهب النسبية . ويرجع القول بالزمان الخاص إلى استحالة نسبة حوادث الكون إلى زمان واحد (كالزمان الذي ذهب إليه نيوتون وكانت) ، لأن لكل قسم من المادة زمانه الخاص به . وغاية ما يستطيعه العالم أن يقارن بين الأزمنة المختلفة الخاصة بقسم قسم من المواد المتحركة .

زمان الانعكاس

في الفرنسية Temps de réaction

في الانكليزية Reaction - time

زمان الانعكاس هو المدة الواقعة بين المؤثر ورد الفعل . وله عدة أنواع كزمان الانعكاس البسيط ، أو زمان الانعكاس لمؤثرين مختلفي الشدة ، أو لمؤثرين متحدين ، أو الإجابة بأشارة معينة عن أنواع مختلفة من المؤثرات .

الزهد

Ascétisme في الفرنسية

Ascetism في الانكليزية

Asceticism

أصل (Ascétisme) في اليونانية (Askesis) ومعناه التمرين والرياضة .
والرياضة في الاصطلاح هي استبدال الحالة المحمودة بالحالة المذمومة أي الإعراض
عن الشهوات .

أما في اللغة العربية فالزهد ترك الميل إلى الشيء ، تقول زهد في الشيء
زهداً وزهادة أعرض عنه وتركه لاحتقاره له أو لئحرجه منه أو لقلته ،
وزهد في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه ، وحرامها مخافة عقابه . لذلك قيل
الزهد نوعان : أحدهما الزهد في الحرام ، والآخر الزهد في الحلال . فإذا
كان في الحرام كان فرضاً ، وإذا كان في الحلال كان فصلاً .

والزهد في اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والإعراض عن شهواتها .
وهذا المعنى قريب من معنى التقشف لأن التقشف ترك الترفه والنعمة ،
ومحاربة النفس في سبيل الوصول إلى الكمال الأخلاقي .

والزاهد من ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، أي لا يفرح
بشيء منها ، ولا يحزن على فقده ، ولا يأخذ منها إلا ما يعينه على طاعة ربه
مع دوام الذكر والمراقبة ، والتفكير في الآخرة . لذلك قيل : الزهد ترك
راحة الدنيا طلباً للآخرة ولذلك قال الإمام علي بن أبي طالب : من زهد
في الدنيا هانت عليه الآخرة .

وأعلى درجات الزهد الزهد فيما سوى الله تعالى من دنيا وجنة وغيرها
إذ ليس بصاحب هذا الزهد إلا الوصول إليه تعالى والقرب منه . لذلك
قيل : الزهد ترك ما يشغلك عن الله .

ويطلق الزهد أو التقشف في الفلسفة الحديثة على المذهب الأخلاقي الذي
لا يحسب للذات والآلام حساباً ، ويعرض عن إشباع الغرائز الحيوانية
والنزعات الحسية والطبيعية . وجميع مذاهب الأخلاق تقول بوجود سيطرة
الإرادة على الدوافع التلقائية ، إلا أن هذه السيطرة لا تصبح زهداً
أو تقشفاً إلا إذا أفرط صاحبها فيها .

وكثيراً ما يكون الزهد نتيجة اتجاه ديني أو أخلاقي أو يكون المقصود
به الحصول على الكمال الذاتي بممارسة الرياضة الروحية .
وإذا اشتد الزهد وصحبه تلذذ بالآلم لذاته أصبح انحرافاً عن الجادة
أو مرضاً في النفس .

الزواج

Mariage في الفرنسية

Marriage في الانكليزية

الزواج هو الاقتران الشرعي بين الرجل والمرأة لتكوين أسرة جديدة .
وتختلف شروط عقده وفسخه والحقوق والواجبات المترتبة عليه باختلاف
الجماعات . فإما أن يكون للرجل الواحد امرأة واحدة كما في الزواج الفردي
(Monogamie) أو عدة نساء كما في نظام تعدد الزوجات (Polygamie) ،
وإما أن يكون للمرأة الواحدة عدة رجال كما في نظام تعدد الأزواج

(Polyandrie) . وقد يتحتم على الرجل أن يختار زوجته من عشيرته وأهله كما في نظام الزواج الداخلي (Endogamie) أو يتحتم عليه اختيارها من خارج عشيرته كما في نظام الزواج الخارجي (Exogamie) . وهذا النوع الأخير شائع في نظام الطوطمية (Totémisme) .

والفرق بين الزواج الديني (Mariage religieux) والزواج المدني (Mariage civil) أن الأول تابع للسلطات الدينية على حين أن الثاني تابع للسلطات المدنية .

وقد يبنى الزواج على العاطفة فيكون نتيجة حب متبادل بين الرجل والمرأة أو يبنى على العقل فيكون نتيجة تفكير كل من الزوجين في مصلحته . ولكن الزواج الكامل يبنى على العاطفة والعقل معاً لأنه إذا خلا من الحب أو من الشروط المادية والاجتماعية التي تصونه لم ينشئ أسرة سعيدة . فليس الزواج إذن وسيلة لإشباع الغريزة الجنسية وإنما هو عقد اجتماعي لتكوين أسرة يشعر فيها كل من الرجل والمرأة بالطمأنينة الروحية .

من أجل هذا قيل يجب على الرجل أن يحب امرأته كما يحب نفسه حتى يصبح الاثنان شخصاً واحداً .

الزي

Mode في الفرنسية

Fashion في الانكليزية

الزي الهيئة والمنظر واللباس ، يقال : أقبل بزي العرب أي بلباسهم . ويطلق الزي مجازاً على مجموع الأحوال والعادات والآراء المنتشرة في

المجتمع ، تقول تزيّا بعبادات الأوربيين ، وأقام مأدبة على زي الأمريكيين ، ونظم الشعر على زي الرمزيين ، وفلان يتزيا بالهوى أي يتظاهر به ويدعيه .
وفرق الفيلسوف تارد (Tarde) بين مفهوم الزي ومفهوم العادة الاجتماعية بقوله : إن الزي يقوم على تقليد المعاصرين ، على حين أن العادة الاجتماعية تقوم على تقليد السابقين .

السبب

Cause , motif , raison في الفرنسية

Cause , motive , reason في الانكليزية

١ - السبب الجبل ، وما يتوصل به إلى غيره ، والجمع أسباب ، وأسباب السماء مراقبها أو نواحيها أو أبوابها .

والفرق بين السبب والشرط أن السبب هو ما يكون وجود الشيء موقوفاً عليه كالوقت للصلاة ، على حين أن الشرط هو ما يتوقف وجود الشيء عليه كالوضوء للصلاة . وقيل أيضاً إن السبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود ، على حين أن الشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده لذاته وجود ولا عدم .

والسبب مرادف للعلّة (Cause) ، إلا أن النظائر يفرقون بينها من وجهين : أحدهما أن السبب ما يحصل الشيء عنده لا به ، والعلّة ما يحصل به . والثاني أن العلول ينشأ عن علته بلا واسطة بينها ولا شرط على حين أن السبب يفضي إلى الشيء بواسطة أو بوسائط . ولذلك يترأخى الحكم عنه حتى توجد

الشرائط وتنتفي الموانع . أما العلة فلا يتراخى الحكم عنها ، إذ لا شرط لها ، بل متى وجدت أوجبت وجود المعلول . ومعنى ذلك أن السبب أهم من العلة . لأن كل علة سبب .

ويقسم السبب إلى تام وغير تام ، فالتام هو الذي يوجد السبب بوجوده ، وهو مرادف للعلّة . وغير التام هو الذي يتوقف وجود السبب عليه ، لكن السبب لا يوجد بوجود السبب وحده (الجرجاني) . والسبب عند الأصوليين ما كان طريقاً للوصول إلى الحكم من غير تأثير فيه ولا توقف للحكم عليه .

٢ - والسبب في اصطلاحنا ثلاثة معان :

أ - السبب هو العامل في وجود الشيء ، ويطلق على كل حالة نفسية شعورية كانت أو غير شعورية تؤثر في حدوث الفعل الإرادي . وهو قيمان عقلي وانفعالي ومن عادة العلماء المحدثين أن يسموا الأول عاملاً (motif) والثاني دافعاً أو باعثاً (mobile) .

ب - السبب هو المبدأ الذي يفسر الشيء تفسيراً نظرياً . وهو ما يتوصل به إلى غيره أو هو كما قال بعض الفلاسفة ما يحتاج إليه الشيء في ماهيته أو في وجوده لذلك سمي سبباً عقلياً (Raison) أو مبدأ (Principe) ، ومنه قولهم سبب الوجود (Raison d'être) .

ج - والسبب عند علماء الأخلاق ما يفضي إلى الفعل ويسوغه ، وهو مرادف للحق ، تقول إن للقلب حقوقه أي أسبابه . وتقول فلان يفضني بغير سبب أي بغير حق . وقد يطلق السبب على الحجة التي يعتمد عليها في إثبات الحق حتى لو كانت غير صادقة . فيكون السبب بهذا المعنى

قوياً أو ضعيفاً ومنه قولهم إن الأسباب التي يحتاج بها الأقوياء أوقع في النفس من الأسباب التي يحتاج بها الضعفاء .

٣ — والسببي (Causal) هو المنسوب إلى السبب ، ويطلق على ما يتعلق بالسبب أو يختص به أو يقومه .

٤ — والسببية (Causalité) هي العلاقة بين السبب والنتيجة ، ومبدأ السببية (Principe de causalité) أحد مبادئ العقل ، ويعبرون عنه بقولهم : لكل ظاهرة سبب أو علة . فما من شيء إلا كان لوجوده سبب ، أي مبدأ ، يفسر وجوده . حتى لقد زعم (كانت) أن السببية إحدى المبادئ الضرورية لتفسير التجربة ، ولها عنده وجهان أحدهما مبدأ الأحداث أو الانتاج (Principe de la production) والآخر مبدأ التتابع الزماني وفقاً لقانون السببية (Principe de la succession dans le temps suivant la loi de causalité) . أما المبدأ الأول فيوجب أن يكون لكل حادث سبب يتوقف وجوده عليه قبل حدوثه ، وأما المبدأ الثاني فيوجب أن تحدث جميع التغيرات وفقاً لقانون الارتباط بين السبب والنتيجة (أي بين العلة والمعلول) .

٥ — مبدأ السبب الكافي (Principe de raison suffisante) — قال (لينيز) هناك مبدأان كبيران للاستدلال العقلي : الأول مبدأ التناقض (Principe de contradiction) والثاني مبدأ السبب الكافي . وهو يوجب أن يكون لكل شيء سبب يتوقف وجوده عليه ، أو هو ما يتوصل به بصورة قلبية إلى تعليل وجود الشيء أو عدم وجوده ، أو إلى تفسير كونه على هذه الحالة أو غيرها . وقد قسم (شوبنهاور) مبدأ السبب الكافي

أربعة أقسام وهي مبدأ السبب الكافي للضرورة (Devenir) ، ومبدأ السبب الكافي للمعرفة ، ومبدأ السبب الكافي للوجود العقلي (كما في العلاقات الرياضية) . ومبدأ السبب الكافي للفعل ، وهو المبدأ الذي يجعل حصول الفعل موقوفاً على عوامل وبواعث خاصة . ومن مشتقات مبدأ السبب الكافي مبدأ السببية ، ومبدأ القوانين (Principe des lois) ومبدأ الحتمية (Prin. de substance) ومبدأ الجواهر (Principe de déterminisme) ومبدأ الغائية (Principe de finalité) . (راجع الألفاظ الآتية : العلة ، المبدأ ، العقل) .

محمّد صليّا



أدب الفقهاء

- ٧ -

الشعر الفلسفي :

الفلسفة بالاستعمال القديم لم تكن قاصرة على علمي النفس والأخلاق كما هي اليوم ، بل كانت تشمل سائر المعارف الإنسانية من نظرية وعملية ، فتدخل فيها العلوم الطبيعية والرياضية والطب والأخلاق وعلم الجمال . وبهذا المعنى كان أرسطو يستعملها ، وكذلك علماء عصر النهضة الأولون في أوروبا مثل فرنسيس بيكون وديكارت وأضرابها . وبالطبع فإن من تتكلم عنهم من الفلاسفة الأدباء العرب إنما كانوا من هذا القبيل ، ولكننا مع ذلك لا نقدم من شعرهم إلا ما كان له صلة وثيقة بالمباحث الفلسفية بمعناها المحدود كمشكلة الوجود والحقيقة الأزلية وما إلى ذلك . على أن المراد هو أن تكون هذه المباحث هي 'منطلق التفكير الشعري لا الدخول في التفاصيل وعرض أنظار الفلاسفة في الموضوع ، فان ذلك يؤول إلى تأليف نظم تعليمي في الفلسفة كألفية ابن مالك في النحو وأرجوزة ابن سينا في الطب ، وما أبعد هذا عن اغراض الشعر والشعراء .

ولعل الشاعر العربي الوحيد الذي تناول في شعره مشكلة الوجود الإنساني والحقيقة العليا واختلاف المذاهب والآراء فيها وكان للتفكير الفلسفي ظل سابغ في معظم إنتاجه الشعري هو أبو العلاء المعري ، وبالرغم من ذلك فانه لا يمكن أن يقال في شعره انه فلسفة خالصة ، ولكنه شعر ينطلق من محط أنظار الفلاسفة ومجالات تفكيرهم

- ٤٢٥ -

م (٣)

وهكذا أصحابنا الفقهاء أو العلماء بلفظ أعم ، وإن كانوا فلاسفة حقيقيين ، لا يعرضون علينا في شعرهم إلا جانباً من النظر الفلسفي في ثوب من الخيال الشعري ليكون إنتاجهم عملاً أدبياً ناجحاً .

وأول من ذكره منهم الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، فإن قصيدته المينية في النفس هي العَلَمُ المرفوع في هذا الباب ، ما زالت منذ قائلها صاحبها تتناقلها الرواة ، وتكتب عليها الشروح ، وتُحَمَّس وتُشَطَّر نظماً ، وترجم إلى اللغات الشرقية والأوربية ، وذلك كله من الأهمية التي لها لدى الأدباء والفلاسفة على السواء ، وجوهر الموضوع فيها هو اتصال النفس بالجسد وفراقها له ، وهي عَبْرَ ذلك تطرح التساؤلات الآتية : لأي شيء كان هذا الاتصال ؟ فإن كان لغير تحصيل الكمال فهي حكمة طواها الخالق عن إدراك الإنسان ، وإن كان لتحصيل الكمال فلم يقع الفراق قبل حصوله ؟ وهذا طبعاً بأسلوب يتراوح بين التقرير والتخييل ، هو الذي أعطاها تلك الصفة الأدبية التي جعلتها من عيون الشعر الفلسفي . وها هي ذي :

هبطت إليك من المحل الأرفع	ورقاء ذاتُ تغرُّز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تبرقع
وصلت على كثره إليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
ألفت وما سكنت فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهداً بالحمى	ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها	عن ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت	بين المعالم والطول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهداً بالحمى	بدماع تهمني ولما تقلع
وتظل مساجمة على الدائم التي	درست بكرار الرياح الأربع

إذ عاقها الشراكه الكيف وصدها
حتى إذا قرُب المسير من الحمى
وغدت مخالفة لكل مخلّف
مسجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
فلأي شيء أهبطت من شاهق
إن كان أهبطها الإله لحكمة
وهبوطها إن كان ضربة لازب
وتعود عالة بكل خفية
وهي التي قطع الزمان طريقها
فكأنها برق تآلق بالحمى
قفص عن الأوج الفسيح المرّبع
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
عنها حليف التشرب غير مشيع
ما ليس يدرك بالعيون المجمع
والعلم يرفع كل من لم يرفع
عال إلى قعر الحضيض الأوضع
طويت على الفذ الليب الأروع
لتكون سامعة بما لم تسمع
في العالمين نخرها لم يرقع
حتى لقد غربت بغير المطلع
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

أثبتنا هذه القصيدة بكاملها لأننا كلما أردنا الاجتزاء منها بقسم وجدنا أن روعتها لا تكمل إلا بالقسم الآخر ، فهي وحدة مترابطة بإشارتها ورموزها لا يصح تجزيئها . ونحب أن ينتبه القاريء إلى جمال التعبير عن النفس بالورقاء وهي الحمامة ووصفها بالتعزز والتمنع وكونها محجوبة سافرة ، وإلتفها لخراب الجسم مع تطلعها للدجل الذي هبطت منه وذكرها لعهودها بذلك الحمى المنيع ، إلى آخر ما وصفها به . وما أحسن ما وقع قوله في مدح العلم : « والعلم يرفع كل من لم يرفع » بعد ذكر المحنة التي مرت على النفس واكتسبت بها من المعرفة مارفعها إلى الأوج . وأخيراً يتطرق الشيخ إلى مذهب التناسخ في البيت الذي قبل الآخر فينفية بتلك العبارة القاطعة مؤكداً مفهوم جواب الشرط المذكور قبله ، من أنه لا كمال في الحياة الفانية ولا رجوع إليها لتحصيله كما يقول أصحاب ذلك المذهب ، فله در ابن سينا ما أجلّه فيلسوفاً وأديباً ومؤمناً صادقاً ...

وثاني قصيدة بعد العينية ألت بالمقاصد الفلسفية وإن لم تكن لها شهرتها هي قصيدة ابن الشَّيْبَلِ البغدادي وهو كما في عيون الأنباء : « أبو علي الحسين ابن يوسف بن شبل ^(١) ، مولده ، ومنشأه بغداد . وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكهماً فاضلاً وأديباً بارعاً وشاعراً مجيداً . وكانت وفاته بغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة . وهذه القصيدة من جيّد شعره ، وهي تدل على قوة اطلاع في العلوم الحِكْمِيَّة والأسرار الإلهيَّة . وبعضُ الناس ينسبها إلى ابن سينا وليست له » . وهذا هو في مطلعها الرائع يلقي السؤال الذي لا جواب عليه :

بربك أيها الفلك المـدار أقصدُ ذا السير أم اضطرار
مداركُ قل لنا في أي شيء ففي أفهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء سوى هذا الفضاء به تدار

إنها مشكلة الزمن والمكان ، أو الفضاء ، التي حيرت العقول منذ القدم وما زالت بدون حل حتى في عصرنا هذا ، عصر الصواريخ والأقمار الصناعية التي تغزو الفضاء يومياً بالعلم الذي جعل من هذا الفضاء ومباحثه مادة اختصاص يكف عليها مئات العلماء في الشرق والغرب ، فلا يتقنون إلا إلى أبعاد سحيقة إنما هي مظهر من عظمة الكون وهندسته العجيبة ، فأما عِلَّتُهُ وسِرُّ تكوينه فأمر محجَّب لا سبيل إلى معرفته والاطلاع عليه ، وذلك ما صاغه ابنُ الشبل في هذا المطلع بلباقة حِكْمِيَّة وبراعة أدبيَّة لا نجد لها إلا عند أمثاله من العلماء الأدباء .

ويتابع صاحبنا أسئلته الحائرة عن مصير الإنسان بعد مفارقة الحياة ، وعن الجرّة ونهرها العجيب والشمس والنجوم والشهب الضاربة فيقول :

(١) في الوافي لامفدي : محمد بن الحسين بن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبل .
(لجنة المحلة)

وعندك تُرفَع الأرواح أم هل
ومَوْجُ ذِي^(١) المجرَّة أم فيرثدُ
وفيك الشمس رافعة شمعاً
وطوق في النجوم من الليالي
وشهب ذي الخواطف أم ذُبال
وترصيع نجومك أم حباب
تتمد رقومها ليلاً وتطوى
فكم بصقالها صدي^(٢) البرايا
مع الأجساد يدركها البوار
على لجج الدروع له أوار
بأجنحة قوادٍمها قِصار
هلا لك أم يدُ فيها سوار
عليها المرخُ يُقدَح والعفار
تؤلف بينه اللجج الفِزار
نهاراً مثل ما طوي الإزار
وما يصدأ^(٣) لها أبداً غرار

ويطول بنا التعرض لما تناولته القصيدة بعد هذا من قلب الزمن بأهله
وعكس مرادهم ، وخطيئة الانسان الأول وما جرت به من شقاء على الانسانية ،
وإن كان لا يصح غض الطرف عن قولها في وصف القيامة ، وفيه ملامح
من وصف القرآن لذلك اليوم الهائل ونصه :

إذا التَّكْوِيرَ غَالِ الشَّمْسِ عَنَا
وَبَدَّلْنَا بِهِذِي الْأَرْضِ أَرْضاً
وَأَذْهَلْنَا الْمَرَاضِعَ عَنْ بَنِيهَا
وَسَيَّرْنَا الْجِبَالَ فَكُنْ كُنُثْباً
فَأَيْنَ ثَبَاتُ ذِي الْأَلْبَابِ مَنَا
وَأَيْنَ مَعَ الرُّجُوعِ لَنَا اصْطِبَارُ
وَأَيْنَ كَوَاكِبُ اللَّيْلِ انْتِشَارُ
وَأَيْنَ بِالسَّمَوَاتِ انْفِطَارُ
وَأَيْنَ لَحِيرَتِهَا وَعُظُمَاتِ الْعِشَارِ
وَأَيْنَ مَسِيلَاتِ وَسْجِرَتِ الْبِحَارِ
وَأَيْنَ مَعَ الرُّجُوعِ لَنَا اصْطِبَارُ

وهو وصف بليغ يدل على مقدرة ابن السبل البيانية وعلى إيمانه العميق ،
برغم ما أبداه من حيرة وأثاره من إشكال إزاء بعض المأثورات . ثم هو
ينبي قصيدته العظيمة بقوله في عظمة الكون والاعتبار بمقدرة الخالق :

(١) في عيون الأنباء الذي نقل عنه : ذا

(٢) في عيون الأنباء صدي بدون همز ، ويصدى ياء ألف .

فما لِسُمُوٍّ ما أعلَى اتِّهَاءٍ ولا لِسُمُوِكٍ ما أرسى قَرَارٍ
ولكن كل ذا التَّهْوِيلِ فِيهِ لذي الألباب وعظ وازدجار
ولابن الشبل أيضاً قصيدة في رثاء أخيه أحمد ينبغي أن تكون تَوْأَمَ قصيدة
أبي العلاء المعري المشهورة في رثاء أحد فقهاء الحنفية بما طرَّقه فيها من أفكار
في فلسفة الموت والحياة مع جودة التعبير وبلاغة الأداء ومنها قوله :

صحةُ المرءِ للِسَقَامِ طريق وطريقُ الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي غوت ونحي أقتلُ الداءَ للنفوسِ الدواء
ما لقينا من غدرِ دنيا فلا كَا نت ولا كان أخذُها والعطاء
راجعُ جودها عليها فَمَهْمَا يهبُ الصبحُ يسترِدُّ المساءُ
ليت شعري حُلماً تَمُرُّ بنا الأَيَّامُ أم ليس تُعَقِّلُ الأشياءُ
من فسادٍ يَجْنِيهِ للعالمِ الكو نُ فما للنفوسِ منه اتقاء
قَبَّحَ اللهَ لذةَ لأذانا نالها الأمهاتُ والآباءُ
نحن لولا الوجود لم نَأْلَمُ الفَقْدَ فإِجَادُنَا علينا بلاء
وهذه أبيات مشهورة في معان فلسفية مختلفة ، فمنها للشهرستاني صاحب
كتاب الملل والنحل :

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها ورددت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كَفَّ حائر على ذَقْنٍ أو قارعٍ (١) سنَّ نادِمٍ
وللفخر الرازي :

نهايةُ أقدامِ العقولِ عِقالُ وأكثرُ سعيِ العالمين ضلالُ
وأرواحنا في عُقْلَةٍ من جِسمِنا وحاصلُ دنيانا أذى ووبالُ

(١) لها : أو قارعاً . (لجنة المحجة)

ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجالٌ فزالوا والجبال جبال
ولابن أبي الحديد :

فيك يا أغلوطة الفكر — ر غدا الفكر عليلا
أنت حيرت ذوي الألب — وبلبت العقولا
كلما أقبل فكري منك شبراً فرّ ميلا
ولبلّمظفّر بن معروف في الرد على الطبائعين :

وقالوا الطبيعة مبدأ الكيان فيألت شعري ما ذي الطبيعة ؟
أقدرة طبت نفسها على ذلك أم ليس بالمستطاعة ؟
ولأبي سليمان المنطقي ، ويحتوي على نزعة وجودية مع الإقرار بخلود
الحقيقة العليا :

لذة العيش في بهيمية الـ — لاذة لا ما يقوله الفيلسوف في
حكم كأس المنون أن يتساوى في حساها الغبي والألمي
ويحلّ البليد تحت ثرى الأر — ض كما حلّ تحتها اللوذعي
أصبحت رمة تزايل عنها فصلها الجوهرية والعرضي
وتلاشى كيانها الحيوانية — وأودى تميزها المنطقي
فاسأل الأرض عنها إن أزال الش — ك والميرة الجواب الخفي
بطلت تلك الصفات جميعاً ومحال أن يطل الأزلي

هذه نماذج من شعر أصحابنا الفقهاء العلماء في موضوع الفلسفة وما يتصل
بها من المباحث العقلية ، هي من جهة مادة عزيزة في الأدب العربي قلما

نمثر على نظير لها فيما أنتجه غيرهم من شعر يتجافى كثيراً عن منازع الفكر
وُمُشتَجَر الآراء في مطالب النفس وحقيقة الوجود ، وذلك طبعاً باستثناء
فيلسوف الشعراء أبي العلاء المعري . ومن جهة أخرى هي أعظم دليل على
قوة ملكتهم الشعرية وعارضتهم الأدبية ، إذ أخضعوا تلك الأنظار والمذاهب
المختلفة لحكمهم وعبروا عنها بعبارات دالة وكلام واضح لم تضق عنه قوالبُ
النظم ولا عيّت به أساليبُ البيان . وذلك غاية ما يطلب من أئمة الأدب
وحملة الأقلام .

عبد الله كنوه



تطرات في المعجم الوسيط

- ١٤ -

تمة تعريف الأعلام الجغرافية والتاريخية والشعوب

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الهلال	... و — شعار لبعض الدول الإسلامية يقابل شعار الصليب عند الدول المسيحية . (محدثة) .	تتخذ بعض الدول الإسلامية الهلال شعاراً لها ، ومنذ القديم كان الهلال شعاراً لدولة بني عثمان المسماة ، ومنها اقتبست تلك الدول هذا الشعار ؛ أما القول بأن الهلال شعار يقابل شعار الصليب عند الدول المسيحية ، فلا سند له من الحقيقة التاريخية ، لهذا كان من المستحسن أن يغفل المعجم الوسيط هذه المقابلة .

على أنه كان جديراً بالمعجم أن
يثبت في تعريف الهلال ، مدلول اصطلاح

- ٤٣٣ -

أثبت المعجم الوسيط كلمة (شاهنشاه) في مادة (ش هي) مع بيان معناها والإحالة إلى مادة (ش وه) وفي هذه المادة أعيد بيان معنى هذه الكلمة الدخيلة مع ذكر صيغتين لها، مما زاد في تضخيم المعجم العربي بدون داعٍ .
وكان من المستحسن الاكتفاء بإثبات كلمة (الشاه) دون غيرها .
إنّ هذه الملاحظة ترد بالنسبة إلى عدة مواد في المعجم الوسيط .

الشاهنشاه ملك الملوك ، أو الملك الأعظم . (فارسية) .
انظر : (ش وه) .
[مادة ش هي]

الشاه' الملك' . (فارسية) :
ومنه الشاه' المستعمل'
في رقعة الشطرنج .
شاهنشاه، وشهنشاه : ملك' الملوك .
(فارسية) .

[مادة ش وه]

مهمايون لفظة فارسيّة معناها : العزيز أو السلطان ؛ والكلمة مركبة من : (مها) أي عنقاء ، ومن (يون) وهي أداة النسبة . وقيل إنّ (مهمايون) في الأصل : اسم طائر عزيز ، لذا أطلق على السلطان (١) .
وفي أقرب الموارد : ... ولذا أطلق على العزيز والسلطان ، وقول الأتراك : باب مهمايون أي باب السلطان .

المهمايون السلطان، أو الامبراطور .
(فارسية) .

(١) انظر كتاب « الألفاظ الفارسية العربية » لأدي شبر ص ١٥٨ بيروت ١٩٠٨ م .

واللاحظ في تعريف المعجم الوسيط كلمة
(هَمايون) حشر لفظة (الإمبراطور) (١)، وإدخال
أداة التعريف على الكلمة، ولم يرد كل هذا في
معجم قديم.

وأشار المعجم الوسيط في تعريف كلمة
(الهَما) إلى أنها (فارسية) بمعنى الطائر الخرافي،
وهذه الكلمة في حقيقتها (معربة) عن كلمة
(هَما أو هَماي) الفارسية.

وأثبت المعجم الوسيط صيغة (الهَماي) على
أنها لغة في (الهَما) ولم أعث على مصدر موثوق
ذكر هذه الصيغة.

ومما يلاحظ وجود خطأ مطبعي في تعريف
الهَما، زيادة لفظة (في).

الهَما العُقابُ . و — طائرٌ
تتخذ الملوك من ريشه في
تيجانهم، لعزته. (فارسية).

الهَماي لغة في الهَما بمعنى
الطائر السابق.

تكاد تعريفات كلمة «الدّهقان» في معاجم
العربية تكون متماثلة، فهي تعني: رئيس الاقليم
وزعيم فلاحي المعجم. وقد اكتفى المعجم الوسيط
بذكر أن الكلمة في جميع معانيها معربة، وفي
رأينا أن هذا لا يعني عن الإشارة إلى أن الكلمة
كانت تطلق على رئيس الاقليم أو رئيس القرية
الفارسي، لأن تعريب الكلمة لم يرق بها إلى

الدّهقان رئيس القرية. و — رئيس
الإقليم . و — القوي
على التصرف مع حدة .
و — من له مال وعقار .
و — التاجر. (كلثوم).
(ج) دهاقنة، ودهاقين.
[مادة دهق]

(١) أثبت المعجم الوسيط كلمة (إمبراطور) بصيغة ثانية في مادة (ع ه ل) إذ أورد التعريف التالي:
العاقل: الملك الأعظم يحكم شعباً مختلفاً كالخليفة والأنبرور!

أن تكون اسماً لأي مركز إداري في
البلاد العربية .

هذا وقد حيرنا في فهم المقصود من جملة
(القوي على التصرف مع حدة) الواردة في كل
من اللسان والقاموس وغيرهما من المعاجم العربية ،
وشككنا في أن يكون في الأمر تصحيف ما ،
وأخيراً وجدنا في معجم متن اللغة : (الدهقان
« مثناة الدال » القوي على التصرف مع شدة
خبرة ...) وبهذا تأكدنا من وجود التصحيف ،
ولكن كيف فات صاحب التاج الإشارة إليه ؟
خاصة وأننا لم نعثر على المصدر الذي اعتمد عليه
صاحب متن اللغة فيما أثبتته من معنى ؟

النُّورُوز أو (النَّيرُوز) «بالفارسية»: كان من المستحسن أن تضاف كلمة (قومية)
اليوم الجديد ، وهو أوَّل إلى جملة : أكبر أعياد الفرس تمييزاً لهذه الأعياد
يوم من السنة الشمسية عن الدينية منها ، لأن الفرس مسلمون ودولتهم
الإيرانية ، ويوافق اليوم دولة إسلامية .
الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية .
وعيد النُّورُوز أو النَّيرُوز أكبر أعياد
الفرس .

[مادة نور]

من الثابت عند علماء العربية أن العرب
عربوا كلمة (هَرَبْد) بصيغة (هَرَبْد) واشتقوا
منها فعلاً واسم مشية تتفق وما تصوروه في
مشية الهَرَبْد .

واختلف أصحاب المعجمات في بيان معنى
الهَرَبْد ، فمن أجل صنع معجم عربي حديث
يجب استبعاد كل معنى لا يتفق هو ومعنى الكلمة
الأعجمية أو يعتمد عن المعنى الذي من أجله اشتق
العرب فعلاً من تلك الكلمة وأدخلوه لغتهم .

إن كلمة (هَرَبْد) الفارسية تعني : قومة
نار المجوس وحكامهم^(١)؛ لهذا كان من المستحسن
أن يكتفي المعجم الوسيط بمثل التعريفات التالية^(٢) :
هَرَبْد : مثنى الهَرَبْدَى .

الهَرَبْدَى : مشية فيها اختيال كمشي الهرازمة .
ومن المجاز عدا الجمل الهَرَبْدَى
أي في شق .

الهَرَبْدَى : حاكم المجوس أو القيم على بيت
نارهم . (مع) . (ج) هَرَابْدَة .

هَرَبْدَ سارَ سِيرًا دون الخَبَب .

الهَرَبْدَى الكاهن المجوسي القائم
على بيت النار . — حاكم
المجوس (فارسي معرب)
وهو بالفارسية هَرَبْدَ .
(ج) هَرَابْدَة .

الهَرَبْدَى مشية فيها اختيال
وعُجِب . — مشية
الجل ونحوه عندما تميل
إلى أحد جانبيه .

[مادة ه ر ب]

(١) انظر القاموس المحيط وغيره من المعجمات . وكتاب الألفاظ الفارسية للعربية لأدي شير

ص ١٥٧ .

(٢) انظر تاج الروس : مادة (ه ر ذ) .

جاء في المعجم الوسيط تعريف كلمة
«الكَرْوَيْثُون» المنقول عن بعض المعاجم القديمة ،
ضعيف الصلة بمادة (كَرْبَ) إذ لم يثبت المعجم
من معانيها التي تتصل بالكلمة المذكورة ، إلا
قوله : كَرْبَ يفعل كذا أي قارب أن يفعله ،
فإذا رجعنا إلى المادة في الأمهات وجدنا ما يلي :
في صحاح الجوهري : كَرْبَ الشيء أي دنا .
وفي لسان العرب : كَرْبَ الأمر يَكْرُبُ
كُرُوباً : دنا ، ... وكلُّ شيءٍ دنا فقد كَرْبَ
... وكَرْبَتِ الشمسُ للمغيب : دَنَتْ ،
وكَرْبَتِ الشمسُ : دَنَتْ للغروب ... قال
أبو عبيد : كَرْبَ أي دنا من ذلك وقَرْبُ .
وكلُّ دانٍ قريب فهو كاربٌ ... والكَرْبُ :
القُرْبُ . والملائكة الكَرْوَيْثُون : أقرب
الملائكة إلى حَمَلَةِ العَرْشِ .

وفي أساس البلاغة : وكَرْبَتِ الشمسُ
أن تقرب . ومنه : الكَرْوَيْثُون والكَرْوَيْيَّة
من الملائكة .

وفي القاموس المحيط : وكَرْبَ كُرُوباً :
دنا ... والشمسُ : دنت للمغيب ... والكَرْوَيْيُون
مخففة الرِّاء : سادة الملائكة .

الكَرْوَيْثُون المقرَّبون إلى الله من
الملائكة ، منهم جبريل ،
وميكائيل ، وإسرافيل .

كَرْبَ فلانٌ كَرْباً : زَرَعَ
في الكريب .

...
وكَرْبَ يفعل كذا ،
وكَرْبَ أن يفعله : قارب
أن يفعله ...

...

الكَرْبُ الحَزْنُ والغَمُّ ...

وفي مقاييس اللغة : .. فأما كَرَب الشيء :
 دنا فليس من الباب (١) ، لأنّ هذا من الإبدال ،
 وإنما هو من القُرْب ، لكنّهم قالوا بالقاف
 قَرُب بضم الراء ، وقالوا في الكاف كَرَب
 بفتحها ، والمعنى واحد ، والملائكة الكَرُويون
 فعُوليون من الكروب ، وهم المقرَّبون
 من هذا العرض لما ورد في معاجم العربية ،
 نجد أن المعجم الوسيط قد أغفل معنى (الدنو
 والقرب) في مادة (كرب) ، لذلك فمن
 المستحسن أن يضاف هذا المعنى إلى معانيها
 العديدة ، على أن يكون في فقرة مستقلة على
 الشكل التالي :

(١) أخرج ابن فارس بكلامه هذا فعل (كرب بمعنى دنا) من مادة (كرب) الأصل جاعلاً
 إياها مبدلة من مادة (قرب) وهذا التخريج الذي لم يقبله علماء العربية ، بضفي شكاً على
 أصالة كلمة الكرب بمعنى القرب ، ويفسر مايجده في كتب المحدثين ، فقال جاء في «أنرب اللوارد»
 مايلي : (الكرويون والكروية ، وقد تبدل الكاف شيناً : سادة الملائكة أو للمقرَّبون
 منهم عبرانيتهما كَرُوييم جمع كَرُوب ، وربما استعملت بلفظها العبراني ومعناها : حافظ أو
 حارس أو مقرَّب ، قال أمية : « كَرُوية » منهم «ركوع» و«سجد» .

وفي هامش كتاب « الألفاظ السريانية في المعاجم العربية » للبطريك أفرام برسوم :
 « كروب : قال الرهاوي ص ١٠ (كروب لفظة عبرية بدلوها الخافق في صناعته ، أرادوا
 بالمدك الكروب أو الكروبي والجمع كروبيم وكوارب الجزيل العلم وبالتالي رسوخ الملائكة :
 الجليّ الباهر في الاستنارة) وفي سفر التكوين ٢٣ : ٢٤ بحسب الترجمة السريانية : وأقام
 شرقي قرووس عدن الكواريب » .

م (٤)

جاء في المعجم الوسيط تعريف كلمة
 «الكَرْوَيْشُون» المنقول عن بعض المعاجم القديمة ،
 ضعيف الصلة بمادة (كَرْبَ) إذ لم يثبت المعجم
 من معانيها التي تتصل بالكلمة المذكورة ، إلا
 قوله : كَرْبَ يفعل كذا أي قارب أن يفعله ،
 فإذا رجعنا إلى المادة في الأمهات وجدنا ما يلي :
 في صحاح الجوهري : كَرْبَ الشيء أي دنا .
 وفي لسان العرب : كَرْبَ الأمر يَكْرُبُ
 كَرْوَبًا : دنا ، ... وكلُّ شيءٍ دَنَا فقد كَرْبَ
 ... وكَرْبَتِ الشمسُ للمَغِيبِ : دَنَتْ ،
 وكَرْبَتِ الشمسُ : دَنَتْ للغروب ... قال
 أبو عبيد : كَرْبَ أي دنا من ذلك وقَرُبَ .
 وكلُّ دانٍ قريب فهو كاربٌ ... والكَرْبُ :
 القُرْبُ . والملائكة الكَرْوَيْشُون : أقرب
 الملائكة إلى سحابة العرش .

وفي أساس البلاغة : وكَرْبَتِ الشمسُ
 أن تغرب . ومنه : الكَرْوَيْشُون والكَرْوَيْتَةُ
 من الملائكة .

وفي القاموس المحيط : وكَرْبَ كَرْوَبًا :
 دنا ... والشمسُ : دنت للمغيب ... والكَرْوَيْشُون
 مخففة الرِّاء : سادة الملائكة .

الكَرْوَيْشُون المقرَّبون إلى الله من
 الملائكة ، منهم جبريل ،
 وميكائيل ، وإسرافيل .

كَرْبَ فلانٌ كَرْبًا : زَرَعَ
 في الكريب .

...
 وكَرْبَ يفعل كذا ،
 وكَرْبَ أن يفعله : قارب
 أن يفعله ...

...

الكَرْبُ الحُرْنُ والغَمُّ ...

وفي مقاييس اللغة : .. فأما كَرَب الشيء :
 دنا فليس من الباب (١) ، لأنّ هذا من الإبدال ،
 وإنما هو من القُرْب ، لكنّهم قالوا بالقاف
 قَرُب بضم الراء ، وقالوا في الكاف كَرَب
 بفتحها ، والمعنى واحد ، والملائكة الكَرُويُّون
 فعُولِيُّون من الكروب ، وهم المقرَّبون

من هذا العرض لما ورد في معاجم العربية ،
 نجد أن المعجم الوسيط قد أغفل معنى (الدنو
 والقرب) في مادة (كرب) ، لذلك فمن
 المستحسن أن يضاف هذا المعنى إلى معانيها
 العديدة ، على أن يكون في فقرة مستقلة على
 الشكل التالي :

(١) أخرج ابن فارس بكلامه هذا فعل (كرب بمعنى دنا) من مادة (ك ر ب) الأصل جاعلاً
 إياها مبدلة من مادة (قرب) وهذا التخريج الذي لم يقبله علماء العربية ، يضيئ شكاً على
 أصالة كلمة الكرب بمعنى القرب ، ويضرب مانحده في كتب المحدثين ، فقال جاء في «أثر للوارد»
 ما يلي : (الكرويون والكروية ، وقد تبدل الكاف شيئاً : سادة الملائكة أو للمقرَّبون
 منهم عبرانيتهما كَرُويِّم جمع كَرُوب ، وربما استعملت بلفظها العبراني ومعناها : حافظ أو
 حارس أو مقرَّب ، قال أمية : « كَرُويّةٌ منهم رُكوعٌ وسُجودٌ » .

وفي هامش كتاب « الألفاظ السريانية في المعاجم العربية » للبطريك أفرام برصوم :
 « كروب : قال الرهاوي ص ١٠ (كروب لفظة عبرية مدلولها الخافق في صناعته ، أرادوا
 بالمدّك الكروب أو الكروبي والجمع كروبيم وكوارب الجزيل العلم وبالتالي رسوخ الملائكة :
 الجليّ الباهر في الاستنارة) وفي سفر التكوين ٢٣ : ٢٤ بحسب الترجمة السريانية : وأقام
 صرقي فرودس عدن الكوارب » .

م (٤)

كَرَب — كروياً : دنا ، وكرَبَتِ الشمسُ
للمغيب : دنت ، وكرَبَتِ الشمسُ :
دنت للغروب .

الكَرَب القُرْب .

الكَرُويُّونَ المقرَّبونَ . و — من الملائكة :
المقرَّبونَ إلى الله تعالى كالكرُويَّة (١) .

كان المعجم الوسيط في غنى عن إثبات
هذا الاسم ، كما استغنى عن إثبات كل من :
هاروت وطالوت وجلوت ، وهي جميعها أعلام
أعجمية متنوعة من الصرف للعلمية والعجمة كما
في أصح الأقوال .

مارُوتُ رفيقُ هاروت : مَلَكان
هبطا بابلَ فَعَلَمَا النَّاسَ
السَّحَر .

[مادة م ر ت]

في تعريف المعجم الوسيط لجمعية (البنائين
الأحرار) قطع في أمر مختلف عليه وهو زمن
تأسيس تلك الجمعية ، وفي هذا تجاوز المعجم
طبيعته اللغوية (٢) .

ومما يلاحظ في التعريف الإحالة إلى تعريف
(ماسونية) وهذه الكلمة لم يدخلها المعجم الوسيط
في مواده وحسناً فعل ، مما يقتضي معه
حذف الإحالة .

البنَّاءون الأحرار جماعة سرِّية لها
نظم داخلية دقيقة يتعاون
أعضاؤها فيما بينهم ، وإن
اختلفت أجناسهم وأوطانهم
وأديانهم . وكونها فريق
من البنائين في القرن
الرابع عشر ، وانتشرت في
كثير من الأقطار . (انظر :
ماسونية) .

[مادة ب ن ي]

- (١) أثبت اللسان هذه الصيغة ، كما أثبت شعر أمية المنقول في أقرب الموارد كما في الهامش السابق .
(٢) انظر كلمة : Franc - maçonnerie في الموسوعات الأجنبية .

كان من المستحسن وقد شاء بجمع اللغة العربية إدخال كلمة (قره غوز) إلى المعجم العربي أن يُشار إلى تركيبها ومعناها (أسود العينين) .
كما كان من حق العربية أن يشار في التعريف إلى الاسم الذي أطلقه البعض على مسرح (قره غوز) وشاع في كثير من البلاد العربية وهو (مسرح المرائس) .

قره جُوز دُمِيّ صغيرة من الورق المقوى أو الخشب الرقيق ، يجرّ كها إنسان مختفٍ ويُنطق بما تقول ، فترى كأنها تتحرك وتتكلم (ج) .
[مادة قره]

البحريّة صفة مؤنثة لكلّ منسوب إلى البحر ، وهي ما لم تضاف إلى اسم آخر ، كقولنا وزارة البحريّة أو مشاة البحريّة أو القوات البحريّة ، لا تدل على شيء معين ، إلا بتقدير مضاف محذوف تدل عليه دلائل توحى بالمقصود منها .

لقد درج المعجم الوسيط على إثبات العلمية لكلمات كثيرة لا ترقى إلى العلمية إلا بتقدير محذوف ولفظة « البحرية » منها ، وكان من المستحسن إن أُريد إثباتها بالمعنى المذكور في التعريف القول :
البحريّة : القوات البحريّة : عدّة الدولة ...

البحريّ الملاح. — كل منسوب إلى البحر .

البحريّة عدّة الدولة في البحر ، من سفن وغوّاصات ، وطائرات وجنود، ونحو ذلك.

القَوْمُ الجماعة من الناس تجتمعهم

جامعة يقومون لها ...

و — الجماعة من الناس

تؤلف بينهم وحدة اللغة

والتقاليد الاجتماعية وأصول

الثقافة وأسباب المصالح

المشتركة . (محدثة) .

أدخل المعجم الوسيط في تعريف الكلمات المتصلة بالأقوام والشعوب بعض معانيها الاصطلاحية المحدثه ، غير أن التعريفات ، التي أثبتها المعجم ، على جده بعضها ، لم تأت دقيقة في مدلولاتها منسجمة بعضها مع بعض .

القَوْمِيٌّ من يؤمن بوجوب معاونته

لقومه ومساعدتهم على

جلب المنفعة ودفع المضرة .

و — الوطني . يقال :

العيد القومي ، والزعيم

القومي . (محدثة) .

ولا بد قبل إعادة النظر في مختلف التعريفات المشار إليها من الرجوع إلى مؤلفات المختصين الذين أوفوا تلك الكلمات حقها من البيان من حيث معانيها اللغوية ومعنى كل منها في الاصطلاح المتعارف عليه في العصر الحديث . وفي مقدمة هذه المؤلفات كتاب « القومية العربية » (١) للأمير مصطفى الشهابي حيث أثبت المعاني اللغوية والتعريفات الاصطلاحية الحديثة لكلمات : القوم ، والقومي ، والقومية ، والآقوامي أو اللاقومي ، والآقوامية ، وغيرها من الكلمات مثل : الوطن والوطني والوطنية والمواطن والمواطنة ، والأمة والشعب والدولة .

القَوْمِيَّةُ صلة اجتماعية عاطفية تنشأ

من الاشتراك في الوطن

والجنس واللغة والمنافع .

وقد تنتهي بالتضامن

والتعاون إلى الوحدة ،

كالقومية العربية . (محدثة) .

(١) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية مصر ١٩٥٩ .

أصبح لكل من كلمتي « أمة » و « شعب » مدلول اصطلاحى جديد في هذا العصر نهضة الأمة العربية ، مما يجب معه على المعاجم الحديثة عدم إغفال المعاني الاصطلاحية الجديدة إلى جانب المعاني اللغوية والمعجمية القديمة ، كما يجب إهمال أي مثل يناقض المعنى الاصطلاحى الحديث ، فيجب مثلاً أن يقال في تعريف كلمة « أمة » : الأمة العربية ؛ لا أن يقال : الأمة المصرية والأمة العراقية ، فليس في مصر أو في العراق سوى شعب من شعوب الأمة العربية . كما يجب أن يمثل في تعريف كلمة « شعب » بأي شعب من شعوب الأمة العربية أو غيرها من الأمم . وإذا كانت كلمة « الجيل » تعني فيما تعنيه : الأمة والجنس من الناس ، فيجب أن يثبت بأنها قد تعني أيضاً « الشعب » .

الأمة جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد ، وتجمعهم صفات موروثية ، ومصالح وأماني واحدة ، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان . يقال : الأمة المصرية ، والأمة العراقية .

والجيل . — عشيرة الرجل . (ج) أمم . وجلس الأمة : المجلس النيابي في مصر ، انشأ بمرسوم عام ١٩٥٧ .

الشعب الجماعة الكبيرة ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة . — الجماعة من الناس تخضع لنظام اجتماعي واحد . — الجماعة تتكلم لساناً واحداً . (ج) شعوب .

الجيل الأمة . — الجنس من الناس : فالتشرك جيل ، والوثوم جيل . — القرن من الزمن . (ج) أجيال .

الوَطَنُ مكانُ إقامة الإنسان ومقرّه ، وُلِدَ به أو لم يولد . (ج) أوطان ...

إن التعريفات الواردة في المعجم الوسيط لكلمات « وطن وإقليم ودولة » جاءت غير دقيقة في معانيها الاصطلاحية المحدثّة ، فيجب إعادة النظر فيها ، وسلّ معنى الموطن من تعريف الوطن ، مع بيان المقصود من اصطلاح « الوطن الأم » المنتشر استعماله كثيراً عند المغتربين في المهاجر .

كما يجب إضافة معنى « القطر » إلى معاني الإقليم ، للدلالة على جزء معين من دولة أو بلاد تميّز باسم خاص .

وفي تعريف كلمة « دولة » يجب إضافة المعنى القانوني لها المتصل بالشخصية الاعتبارية المعترف بها دولياً أو في المنظمات الدولية .

الإقليم عند القدماء : واحد الأقاليم السبعة ، وهي أقسام الأرض . و—بلاد تسمى باسم خاص كإقليم الهند وإقليم اليمن . و— منطقة من مناطق الأرض تكاد تتحد فيها الأحوال المناخية والنظم الاجتماعية ، كالإقليم الشمالي والإقليم الجنوبي .

الدَّوْلَةُ جمع من الناس مستقرون في إقليم مُعَيَّن الحدود ، مُستقِلُّون ، وفق نظام خاص . (ج) ...

تعريف كلمة « الجنسية » الذي أثبتته المعجم الوسيط هو تعريفها من ناحية اجتماعية وقد شاع في القرن الماضي ، أما في العصر الحاضر فأغنت كلمة « القومية » عن « الجنسية » بالمعنى الذي أورده المعجم الوسيط .

لقد فات المعجم الوسيط الإشارة إلى المعنى القانوني لكلمة جنسية المعروف في جميع البلاد العربية : وهو المتصل برابطة الولاء والحماية بين الإنسان ودولة معينة .

كما فات المعجم الوسيط عند تعريف كلمة « عِرْق » أن يشير إلى المعنى الاصطلاحي الحديث للكلمة وهو السلالة Race .

الجنسية الصفة التي تلحق بالشخص من جهة انتسابه لشعب أو أمة ، مثل: فلان مصري ، أو عربي . (مو) .

العِرْقُ أصل كل شيء

عدنان الخطيب

(يتبع)



أبو يعقوب الخُرَيْمِي

- ١ -

(١)

أبو يعقوب إسحاق بن حسَّان (بن قُوهي)^(١) الصُّغْدِيُّ أصلاً ، الخُرَيْمِيُّ ولاء . والصُّغْد « كورة قصبتها سمرقند ، وقيل هما صغدان : صغد سمرقند وصغد بخارى ... »^(٢) وهو « في الأصل اسم للوادي والنهر الذي تشرب منه هذه النواحي »^(٣) .

ونسب إسحاق إلى الصغد لا نقاش فيه ، نصبت عليه عدة مصادر ، وافتخر هو نفسه فقال :

إني امرؤٌ من سراة الصُّغْد البسني عرق الأعاجم جلدًا طيبَ الخَبَرِ^(٣) وتقع الصغد في « ما وراء النهر » ، ويعد هذا النهر — أي جيحون — « الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي إيران وتوران ، فما كان في شماله أي ورائه من أقاليم قد سماها العرب ما وراء النهر »^(٤) ، فالأولى — على هذا — أن يتبادر إلى ذهن الباحث في أصل إسحاق أن

(١) وردت « ابن قوهي » لدى الجاحظ - الحيوان ١ : ٢٢٤ ، البيان ١ : ١١٥ ،

٢ : ٣٥٢ ؛ الحصري ١ : ١٠٤ ، البقاعي ٦ : ٣٢٦ ، البكري ٢٧ ،

ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ . وينظر ابن الجراح ١٠٣ .

(٢) ياقوت ، كلمة « الصُّغْد » ٣ : ٤٠٩ - ، وقد يقال الصُّغْد .

(٣) ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ .

(٤) لسترنج ٤٧٦ .

يكون تركياً . ولا بد من أن تعني كلمة « الأعاجم » أو « العجم » (١) التي ترد عند الحديث عنه : الترك . وانه كذلك ، بدليل صريح ، هو قول ابن المعتز : « كان من نسل الترك » (٢) .

وكان المبرد يروي أنه « كان يرجع إلى بيت في العجم كريم » (٣) .
ويبدو أن علم الباحثين المعاصرين لنا أنه مولى ورؤيتهم كلمة « العجم » في نسبه مما دفع بهم إلى الجزم السهل بأنه فارسي الأصل ؛ ومن هؤلاء الباحثين بروكلمان وبرون وأحمد أمين ومحمد نبيه حجاب وغيرهم (٤) .

وليس لدينا ما يدل على أن إسحاق مولى في الصفد ، وإنما لدينا قوله :
رسا بالصفد أصل بني أيننا وأفرعنا عمرو الشاهجان
وكم بالصفد لي من عمم صدق وخال ماجد بالجوزجان (٥)
وقد يكون الراجح — على هذا — في ولادة إسحاق أن تقع في إحدى هذه المدن الكثيرة من خراسان ؛ وأنها في مرو الشاهجان ، إن لزم التخصيص . أما تاريخ الولادة فلم يشر اليه أحد ، وقد ذكر أن إسحاق من طبقة تلي سبتاً طبقة بشار (وأبي نواس) (٦) .

ثم كان في سجستان ، ترعرع وشب وتعلم وطلب العلم والأدب ثم قال

- (١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، ويبدو أن العباسي ١ : ٢٥٢ أخذ عنه .
- (٢) ابن المعتز ٢٩٣ .
- (٣) المصري ٢ : ١٠٧١ ، ومثله ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .
- (٤) بروكلمان ٢ : ١٩ ، برون ١ : ٢٦٨ ، أحمد أمين ١ : ٦٥ ، حجاب ٣٠٥ ، الحوفي ٤٥٠ ، الثايب ٢٣٢ . وينظر محمود مصطفى ٢ : ٣٥٣ ، بيومي ٢٩٣ .
- (٥) ياقوت كلمة الصفد ، وينظر ياقوت ولسترنج عن أعلام المدن الواردة في البيت .
- (٦) ابن رشيقي ١ : ١٠٠ وذكر في ولادة بشار عام ٩٦ وفي قتله عام ١٦٧ أو ١٦٨ ، وفي ولادة أبي نواس ١٤١ - ١٤٥ ووفاته ١٩٦ - ٢٠٠ .

وأصبح يرى نفسه مظلوماً منموط الحقوق لا ينال لقمة العيش بعر وكرامة :
 أدركتني - وذاك أوّل دابي - بسجستان حرفة^(١) الآدابي
 وأكثر ما كان يشكو أنه 'يضطر إلى قصد من لا يستحق من الممدوحين ،
 وكرر المعنى نفسه في أبيات أخرى انتهى فيها إلى أن قال .
 لا تَنْظُرَنَّ إلى عقل ولا أدبٍ إن الجُدود قريباتُ الحماقاتِ^(٢)
 ولكنه ما زال في أول مراحل النظم لما يبلغ الدَّرَجَة التي تصوّر أنه
 بلغها . ولا بد من أن يكون الضيق الذي عاناه أم ما بعثه على قول الشعر ؛
 ذكر الجاحظ « قال أبو يعقوب الخرمي الأعور ، أول شعر قلتُه
 هذان اليتان :

بقلي سقامٌ لست أحسنُ وصفهُ على أنه ما كان فهو شديدُ
 تمرُّ به الأيامُ تسحبُ ذيلها فتبلى به الأيامُ وهو جديد^(٣) »
 ولا بد من أن يتصبّر ، فقد تطول الأزمنة ، ولا بد من السعي ، فقد
 يقع على من يفرّج عنه الكرب ويوسع له الأمل - وهذا ما كان .

(٢)

فقد وقع على « قائد جليل وسيّد شريف^(٤) » « عظيم القدر^(٥) » عرف
 قدره وأغدق عليه المال وهياً له الجاه . وكان لإسحاق من الصفات ما يجعله

(١) الآمدي ١ : ١٢١ . وينظر ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ . وينظر عن سبستان
 ياقوت ولسترنيج .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٥ - ٤٣٦ . وينظر الجاحظ - الحيوان ١ : ٣٥٤ .

(٣) الجاحظ - البيان ١ : ٢٢٤ ، ٣ : ٣٢٥ . وينظر للأعور ابن الجراح ١٠٤ .

(٤) المصري ٢ : ١٠٧٢ ، البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٥) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

أهلاً لذلك ، فإنه إلى عمله وأدبه و « ظرفه » (١) « كان يتأله ويتدين » (٢) و « يرجع إلى إسلام ووقار » (٣) .

ذلكم « القائد » هو « عثمان بن عمار بن خريم الناعم الذي ينتهي نسبه إلى ذبيان إلى غطفان من العدنانية (٤) . وكان جدّه خريم سيّداً في قومه ، جعلته مكاتته علماً لأولاده وأحفاده فقبل عماره الخريمي ، وعثمان الخريمي ، وأبو الهيثام (عامر) الخريمي . حتى إذا كان اسحاق بن حسان مولى لثمان قيل له إسحاق بن حسان الخريمي ، وأبو يعقوب الخريمي أو الخريمي فقط (وكثيراً ما صحف بالخزيمي ، وقد يصحف بالخرمي أو الجرمي — ولا قيمة لذلك ولا أساس) .

مدح أبو يعقوب عثمان كثيراً وسارت أماديحه ، ولا بد من أن يكون منها اللامية التي يقول فيها :

... فلو لم يكن إلاّ بنفسك نخرها لكان لها يوم الفخار بك الفضل (٥)

وربما كان في هذه القصيدة الأبيات التي يقول فيها :

أبالصغدر بأس إذ تعيّرني مجمل سفاهاً ومن أخلاق جارتني الجهل

(١) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٣) ابن عساكر ٢ : ٤٣٢ — كأنه يروي السند عن البرد .

(٤) بنظر عن خريم ، ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، ابن الجراح ٢٣ ، ابن حزم ٢٤٠ ،

البدياني ٢ : ٣٥٥ — ٥٦ ، ابن عساكر ٥ : ١٢٨ ، الفقهندي ٤١٩ ، ٢٥٤ ،

٣٨٨ ، ٢٨٨ ، الزركلي ٢ : ٣٤٨ .

(٥) السكري — ديوان ١ : ٧٤ ، وينظر الجاحظ — البخل ١٦٧ ، البيان

٢ : ٣٥٢ (وينظر ١ : ٢٧٤) ، الحيوان ٢ : ٩٥ (وينظر ١ : ٢٧٤) ؛

ابن قتيبة ٢ : ٧٣٥ .

فإن تفخري يا مجملٌ أو تتجملني فلا فخر إلا فوقه الدين والعقل
أرى الناس شرعاً في الحياة ولا يرى لقبير على قبر علاء ولا فضل
وما ضرني أن لم تلدني «بحابر» ولم تشتمل «جرم» علي ولا «عُكُل»^(١)
ذكر هذه الآيات أكثر من مصدر دون أن يعلق عليها أو أن يربطها
بالشعوية، ولكن الباحثين المعاصرين لنا ربطوها^(٢) واشتدوا على الشاعر
وزاد بعضهم أن نسب الربط إلى ياقوت^(٣) — ولا صحة للنسب^(٤)، وما كان
مناسباً أن يكون شعوبياً شاعر كأبي يعقوب وهو يمدح قائداً كعثمان الخريجي.
ظل الشاعر قريباً من عثمان يواصل المدح ويتلقى المال ويلقى الجاه^(٥).
ثم كانت نهاية عثمان على غير ما يجب وهو القتل^(٦)، كما يبدو، فرثاه^(٧).
وكان طبيعياً أن يلحق بأخيه أبي الهيثم.

وجمع أبو الهيثم بالشام جمعاً عظيماً، فقد كان «أحد فرسان العرب
المذكورين» وهو زعيم قيس في الفتنة التي وقعت بينهم وبين اليمن، وقد

(١) ابن فتيبة ٢ : ٧٣٥ ، ياقوت ، كلمة الصفد - واختلط على ياقوت الأمر فحسب
أن الخريجي كان في عصر فيه صعبة .

(٢) أحمد أمين ١ : ٦٦ ، حجاب ٣٠٥ ، وينظر الحاجري ٣٦٤ .

(٣) حجاب ٣٠٦ .

(٤) ينظر ياقوت . كلمة الصفد .

(٥) يبدو أن عثمان نزل سجستان عاملاً للرشد بها كما يفهم من ابن الجراح ٢٣ ،
والرزباني - معجم ٢٥٦ .

(٦) ينظر الرزباني - معجم ٢٥٦ ، الباسي ١ : ٢٥١ ، ابن الجراح ٢٣ ،
ابن عساكر ٧ : ١٧٦ .

(٧) دون أن يصل إلينا الرثاء . وصلت أبيات تنسب لأبي الهيثم يرثي أخاه ، ينظر
ابن الجراح ٢٣ ، ابن عساكر ٧ : ١٧٦ ، الباسي ١ : ٢٥١ - ٢٥٢ .

غلظ أمره واشتدت شوكته وأعيت الرشيد الحيل فيه ، وكان إلى جواره ابنه خريم — وهو فارس شاعر — وكان ذلك عام ستة وسبعين ومائة . ولكن الرشيد استطاع أن يقضي على الفتنة بمهارة موسى بن يحيى بن خالد بن برمك فقد ورد الشام وأصلح بين أهلها ، ولما انتهى الخبر إلى الرشيد بمدينة السلام ردّ الحكم في « الثائرين » إلى يحيى فعفا عنهم ^(١) ، قال — في ذلك — الخريجي ألياً امتدح فيها يحيى ^(٢) .

ولم نعلم — بعدها — من أخبار أبي الهيثم إلا أنه توفي سنة اثنين وثمانين ومائة ^(٣) ، وقد رثاه الخريجي ^(٤) ، وخلفه ابنه خريم فأقام عنده الشاعر يدحه ويمجده ، حتى إذا توفي رثاه وأكثر من رثائه ^(٥) فقال :

... وقالوا: ألا تبكي « خريم بن عامر » فقلت على أن كان ذلك ينفع
سأبكي « أبا عمرو » لضيف مدقّع وذي حاجة أعني بها كيف يصنع
وكان لسان الحى قيسٍ وناهبها وكانت به قيسٌ تضرُّ وتنفع ^(٦)

(١) ينظر عن أبي الهيثم عامر بن عمار بن خريم و«نورته» بدمشق أيام الرشيد : ابن الجراح ٢٣-٢٤ ، ابن قتيبة ٢ : ٧٣١ ، الطبري III ٦٢٥ (وينظر الجهشداري ٢٠٦) ابن دريد ٢٨٩ ، الرزباني — معجم ٢٥٦ ، ابن عساكر ١٧٦ : ٧ ، العباسي ١ : ٢٥١-٢٥٢ ولا تخلو الروايات من اضطراب .
(٢) الأبيات لدى الطبري III ٦٢٥ سنة ١٧٦ . ربما ورد الخريجي بغداد في هذا العام . ينظر البغدادي ١٤ : ٢٩٦ ، ابن عساكر ٤٣٥ .

(٣) ابن عساكر ٧ : ١٩٣ .

(٤) ابن المعتز ٢٩٣ ، ابن الجراح ١٠٣ — ولم يصل إلينا رثاؤه ، كما يبدو .

(٥) ابن عساكر ٥ : ١٢٦-١٢٨ .

(٦) ابن عساكر ٥ : ١٢٦-١٢٧ .

وقال :

... وكان لنا الخليفة من أبيه لينهض بالمهات الثقال (١)

وقال عينيته التي تعد من بدائمه ومن خير ما قال ويقال :

قضي وطراً منك الحبيب المودّع وحلّ الذي لا يُستطاع فيُدفع
وأصبحت لا أدري إذا بان صاحي وغودرت فرداً بعده كيف أصنع

* * *

وقالوا: ألا تبكي خريم بن عامر فقلت: وهل يبكي الذلول الموقّع
لقد وقّدتني الحادثات فما أرى لنازلة من ربهها أتوجّع
صبرت وكان الصبر خيراً مغبّة وهل جزّع أجدى عليّ فأجزع

* * *

ألم ترني أباي على اللّيث يته وأحشو عليه الترب لا أتخشع

* * *

وكان خريم من أبيه خليفة إذا مادجا يوم من الشرر أشنع

* * *

وأعدته ذخراً لكلّ مليمّة وسهم المنايا بالذخائر مولع
بقية أقمار من الفُرّ لو خبت لظلت «معدّة» في الدّجى تتكسّع
إذا قمر منها تفوّر أو خبا بدا قمر في جانب الأفق يلمع
فلو شئت أن أبكي دماً لبكيتّه عليه ، ولكن ساحة الصبر أوسع
وإني - وإن أظهرت صبراً وحسبة وصانمت أعدائي - عليك لموجع (٢)

(١) ابن عاكر : ٥ : ١٢٧ .

(٢) ابن عاكر : ٥ : ١٢٧ - ١٢٨ وينظر ٢ : ٤٣٦ .

والقصيدة من رائع الشعر وبارعه وهي تبين عظم المصائب على الشاعر ومدى الحزن الذي ساوره وقد فقد سيداً كريماً وموثلاً شريفاً فقال ما قال صادقاً .

وابن عساكر الوحيد الذي أوصل إلينا القصيدتين الأوليين في رثاء خريم بن عامر ، والوحيد الذي أوصل القصيدة الثالثة بواحد وعشرين بيتاً صريحة على أنها للخريمي في رثاء خريم .

أما الآخرون (١) فقد أوردوا البيت والأبيات ، معجبين ، ولم يرد لديهم ذكر لخريم وربما وصلت إلينا روايات بعضهم على أن القصيدة في أبي الهيثم ، ويبدو أنها جازت على هذا خلال العصور ، وليس من دليل ، ولا دليل بعد رواية ابن عساكر وورود اسم خريم صريحاً فيها .

والمهم ، أن الدنيا ضاقت بالشاعر بعد هذا الفقد الجسيم ولم تمد له الشام دار إقامة (٢) ، ولعله أقام حيناً في الجزيرة الفراتية - في ديار مضر - مثلاً ، وقد قيل فيه إنه « جَزَري » (٣) وقيل « .. نزل الجزيرة والشام » (٤) ، ولا بد من التفكير ببغداد مقر الخلافة ومطمح النابيين .

(١) الجاحظ - الحيوان ٣ : ٩٤ ، ١٤٨ (وينظر ٦ : ٤٢٣) ، البيان ١ : ٤٠٦ ؛

البرد ٢ : ١١٧٤ ، الرزماني - اللوشح ٣٠٧ ، القاضي الجرجاني ٢٠٤ ،

٣٢٢ ، ٣٣٦ ، السكري - ديوان ٢ : ١٧٥ ، الرزوقي ٣ : ١٠٥٣ ،

عبد القاهر ١٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٦ ، النويري ٥ : ١٨١ ، العباسي

١ : ٢٤٦ - البيان ٣ : ١٠ ، ٣٣٣ .

(٢) كان لأبي الهيثم عامر ولد آخر اسمه موسى ولكنه كان محدثاً - مات سنة

٢٥٥ - الذهبي ٤ : ٢٠٩ ، السقلاي - تهذيب ١٠ : ٣٥١ ، تقريب

٥١٢ - ٥١٣ ، لسان ٦ : ٧٣٤ .

(٣) البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٤) البغدادي ٦ : ٣٢٦ ، ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ - ترى هل الخبر يعني التسلسل الزمني ؟ .

(٣)

« نزل بغداد » (١) و « سكنها » (٢) أيام الرشيد ، وبدأ يمد لنفسه حتى كانت له مكانة ، وكان له صوت ؛ وورد في أخباره أنه « كان يمدح الخلفاء والوزراء والأشراف فيُعطي الكثير » (٣) ؛ وورد أنه اجتمع بعد الله بن الرشيد (أي المأمون قبل خلافته) وكان عند عبد الله جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ومعه منصور النعمري والعباس بن زفر (٤) ؛ وورد مرة أخرى أنه جالس جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى (٥) وأنه مدح يحيى ابن خالد (٦) .

وبرز في صلات الشاعر اسمان ، الأول : محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة . وكان « سخياً سرياً ، وكان الرشيد يسميه فتى العسكر » (٧) ، وكان للخرمي « فيه مدائح جواد » (٨) وصلت إلينا منها سبعة أبيات رائية يعترف فيها الشاعر بالنعيم التي أولاه إياها ابن منصور (٨) . ثم مات محمد فرثاه الخرمي (٩)

(١) البغدادي ٦ : ٣٢٦ .

(٢) ابن عساكر ٢ : ٤٣٤ .

(٣) ابن المعتز ٢٩٣ .

(٤) الأصماني ١٢ : ٢٠ - ٢١ .

(٥) الجهشاري ٢٩٣ .

(٦) الصولي ١١٧ .

(٧) الجهشاري ٢٦٦ . وكان أبوه كما يروي الجهشاري ٢٢٤ - « ضيقاً بجيلاً » .

(٨) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .

(٩) ابن الجراح ١٠٣ - ١٠٤ : « ومن قوله أنشدني محمد بن القاسم ، قال ،

أنشدني الرياشي ... » وينظر ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ ، عيون ٣ : ١٦٠ ،

البرد - الفاضل ٩٥ ، الوشاء ، ٤٥ ، الجهشاري ٢٦٧ ، القاضي الجرجاني ٣٥٤ ،

البيان ٤ : ٦٥ .

والثاني : أبو علي الحسن بن التختاخ كاتب الفضل بن يحيى (١) ، وله فيه مدائح . ولما ولاه الرشيد مصر (وقد بلغها يوم الاثنين ثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ومئة) قال بائية حسنة يتشوق بها إليه ، جاء في مطلعها :

ألا مبلغ عشي خلي - ودونه
مطاسفتر لا يطعم النوم طالبه
رسالة تأو بالمرق وروحه
بقسطاط مصر حيث جمّت عجابه
له كل يوم حنة بعد رثة
يحيش بها في الصدر شوق يغالبه
ومنها :

أرى بعدك الإخوان أبناء علة
لهم نسب في ودهم لا أناسبه
فهل يرجعن عشي وعيشك مرة
يفقداد دهر منصف لا نعا به
والآيات من رائع ما قاله ماح في التشوق إلى ممدوح ، إنها فوق
« الرسميات » - كما نقول اليوم وهي تدل ، فيما تدل عليه ، على نفس
الحريري بين الإباء والسباح ، وعلى شخص الحسن بين التواضع والوداد (٢) .

ولما مات الرشيد (في جمادى الآخرة من السنة نفسها) وولي الخلافة
ابنه الأمين عزل الحسن بن التختاخ « فصار متوجهاً في طريق الحجاز ،
لفساد طريق الشام ، وذلك يوم السبت ثمان بقين من ربيع الأول سنة

(١) الجهمشاري ١٩٤ .

(٢) أورد القصيدة المصري ٢ : ١٠٧٢ وينظر ابن قتيبة ٢ : ٧٣٤ - ٧٣٥ ،

المصري - ديوان ١ : ٢٧٩ . م (٥)

أربع وتسعين ومئة ... فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وشهراً وثمانية وعشرين يوماً» (١) .

ثم مات فرثاه الخريبي (٢) .

ولم تكن كل صلات الخريبي ببغداد صلات ود ومدح ، فقد يهجو ، وحسبك أنه هجا أبا دؤلف (٣) وأنه أغرى بعلي بن الهيثم الأنباري الكاتب (٤) . أما علاقاته الأدبية فلا بد من أنها كانت واسعة ، وكانت علاقة الجاحظ به علاقة إعجاب وما يدل على ملازمة ما ، ومثلها علاقة أحمد بن عبيد بن ناصح المعروف بأبي عصيدة (٥) .

(١) مصدرنا الأول عن ولاية ابن التختاخ على مصر : الكندي ١٧٢ - ١٧٣ ، وينظر المقرئ - القسم الثالث ١٢٦ ، ابن تقي بردي ٢ : ١٢١ . وقد وردت التختاخ لدى الجاحظ - البيان ١ : ٢٠٩ ، ابن الجراح ١٠٣ ، الكندي ١٧٢ - ١٧٣ ، المقرئ ٢ : ١٢٦ (وزاد انه التختاخ بن التختكان) أما الجهمياري ١٩٤ ، وان تقي بردي ٢ : ١٩٣ فقد وردت لسيما على « الجراح » وقد اقراها الجاحظ ٣٦٣ كأنه يعتمد الجهمياري وفي الخبر الذي أورده الجهمياري ١٩٦ خلط واضطراب فهو يقول : ان الحسن « كان قد خدم المهدي وموسى وتقلد أيام مرسى مصر ، وخدم بعده الرشيد ، وفارق عند توسط أيام البرامكة لسلطان وتخلي عن الدنيا وجاور بمكة ، فكتب اليه أبو يعقوب قصيدته الطويلة التي يقول فيها : ألا بكرت لبني عليه تعانبه » ثم تحذفه طوراً وطوراً تلاعبه وأكب على سماع الحديث » - وينظر الجاحظ ٣٦٤ وقد اختار أن الخريبي يمت بها الى الحسن حين تقلد مصر في أيام موسى الهادي .

(٢) ابن الجراح ١٠٣ - ولم يصل إلينا الرثاء . وينظر الجاحظ ١ : ٢٠٩ .

(٣) الجاحظ - البيان ٢ : ٣٥٦ - ٣٥٧ (ثلاثة أبيات) وأبو دلب هو القاسم بن عيسى بن معقل بن ادريس المحلي ، كان أميراً سيد قومه وقائداً شجاعاً - ينظر الطبري ، ابن النديم ، ابن المتمر ..

(٤) ابن الجراح ١٠٥ ، ياقوت - معجم الأدباء ترجمة علي بن الهيثم ١٥ : ١٤٠ .

(٥) ابن بلنجر ، نحوي كوفي دلمي الأصل من موالي بني هاشم أدب ولد المتوكل وهو من رواة أصحاب الأشعار ، ومن مصنفاته « عيون الأخبار والأشعار » ، مات سنة ٢٧٨ (وقيل ٢٧٣) ، ينظر عنه اللغوي ٩٧ ، ابن النديم ٧٣ ، البغدادي ٤ : ٢٥٨ - ٢٦٨ ، القفطي ١ : ٨٤ ، ياقوت ٣ : ٢٢٨ - ٢٣٢ .

وورد له خبر عن مجلس فيه حماد عجرد وحماد الراوية (١). وليس من المعقول أن تقول إنه نشأ في مجلسها كما فعل الأستاذ طه الحاجري إذ قال: « قد نشأ الخريجي في مجلس حماد الراوية وحماد عجرد . واتصل في أول نشأته بهذه الجماعة من الشعراء التي كانت تضم مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد . ولعل هذه الصلة كان لها أثرها في الوجهة الشعرية التي توجهها » (٢) ، والدكتور محمد نبيه حجاب إذ قال : « إنه ، كما أشار أبو الفرج ، نشأ في مجلس حماد ... » (٣) ؛ فقد بعد عهد الخريجي بالنشأة الأولى ، ولم نجد أن أبا الفرج الأصماني أشار إليها ، كما لم نجد في وجهة شعره ما يدل على تأثر لصلته بجماد وزمرته . لقد كان الخريجي « ظريفاً » ولكنه كان يتأله ، وينشد في شعره الفخامة والسمو والبعد عن أغراض المحبون وكان يودّع الكهولة ، ويؤمله الظلم وتؤذيه عوامل البعث . واتضح ذلك جلياً في أساء لما أصاب بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون .

(٤)

جعل الرشيد ولاية عهده في أولاده الثلاثة (٤) : محمد الأمين ثم عبد الله المأمون ثم القاسم المؤتمن ، وكتب بذلك وأشهد الشهود ، فلما توفي سنة ١٩٣ ، وآلت الخلافة إلى الأمين بدأ يعمل على خلع أخويه ونقل الولاية بعده إلى ابنه الطفل ، وقد فعل وسماه « الناطق بالحق » فكان ذلك بدءاً لسلسلة

(١) الأصماني ١٦١ : ٥ وينظر ١٢٠ : ١٥ ، ١٠٤ : ٢١ ، ١٥٧ .

(٢) الحاجري ٣٦٣ في « تعليقات وشروح » ذيل بها تحقيقه كتاب البخلاء للجاحظ .

(٣) حجاب ٣٠٥ .

(٤) فصل الطبري أسر هذه الولاية وما تبعها من أحداث ، وهو مصدرنا الأساس في هذا التلخيص ينظر في أول أحداث سنة ١٧٦ III ٦١٠ .

من الفتن والحروب كانت الغلبة في جملتها للمأمون . وقد نال الناس من جراء ذلك عنت شديداً وذهب منهم ضحيته خلق كثير .
وانصبَّ الشر بخاصة على بغداد إذ سارت إليها جيوش المأمون فذعر أهلها واضطربت أمورهم واختل نظامهم وعبث بهم العاشقون و « ثقب أهل السجون السجون » وخرجوا وفتن الناس ووثب على أهل الصلاح الدُّعَّار والشُّطَّار ففزَّ الفاجر وذل المؤمن واختل الصالح وماءت حال الناس . . . حتى . . . خربت الديار » .

فلما دخلت سنة سبع وتسعين ومائة . . حاصر طاهر بن الحسين وهرثة ابن أعين وزهير بن المسيَّب محمدَ الأمين فتصبَّت الجانيق والمرادات ، واحتفرت الخنادق ، ورُميت الحبال بالنفط والنيران ، واستشرى القتال ، فثقل الحصار على الأمين ، وقد فرَّ من أصحابه من فر ، واستأمن منهم إلى طاهر من استأمن ، وتفرق من تفرق ، ولم يبق معه إلاّ قلة يطمع أكثرهم بما بقي لدى الخليفة من مال ، وهم في الغالب ليسوا أهل رأي قدر ما هم أهل سلب وحب للقتال ، من « باعة الطريق والعراة وأهل السجون والأوباش والرعاك والطرازين وأهل السوق ، وكان حاتم بن الصقر قد أباحهم النهب وخرج الهيرش والأفارقة فكان طاهر يقاتلهم لا يفتر عن ذلك ولا يملّه ولا يني فيه » . وهكذا عمَّ الفساد وذهبت معالم بغداد وذوت نضارتها واضمحلت جانب العيش فيها .

سميت تلك فتنة ، وهي كذلك وأكثر من ذلك ، إنها كارثة حلَّت بِعاصمة الحضارة والمدنية فقال الخرمي قصيدة طويلة تقع في خمسة وثلاثين ومائة بيت ، وصف ما آلت إليه بغداد تحت وطأة الفتنة العارمة (سنة ١٩٧) مطلبها :

قالوا ولم يلبِ الزمانُ بيدهِ دُداد وتَعَشَّرُ بها عواثرُها

ومنها :

جنةٌ دنيا ودارٌ مَفْبُطَةٌ قل من النائبات واثرها

* * *

أورد أملا كنّا نفوسهمُ هُوَّةٌ غَيَّ أَعْيَتْ مصادرها

ما ضرّها لو وَفَتْ بِوَثِيقِها واستحلّمت الثّقي بصائرّها

ولم تسافك دماءَ شيعتيها وتبتّ عِلْ فِتيةً تكابرّها

وأقنعتها الدنيا التي جُمِعتْ لها - ورغبُ النفوس ضائرّها

* * *

يا هل رأيتَ الجنانَ زاهيةً يرُوقُ عينَ البصير زاهِرُها

* * *

فإنّها أصبحت خلايا من الـ إنسان قد دَمِيت محاجرُها

قفراً خلّاء تعوي الكلابُ بها يُنْكِرُ منها الرُّسومَ دائرُها

وأصبح البؤسُ ما يفارقها إلّفاً لها والسرور هاجرُها

* * *

يا بؤسَ بغدادَ دار مملكةٍ دارت على أهلها دوائرُها

أهلها الله ثم عاقبها لما أحاطت بها كباثرُها

بالخسف والقذْف والحريق والـ حربٍ التي أصبحت تساورها

* * *

حلتْ ببغداد وهي آمنةٌ داهيةٌ لم تكن تحاذرُها

طالعها السوء من مطالعه وأدركت أهلها جرائرُها

* * *

من يرَ بغدادَ والجنودُ بها قد ربّقتْ حولها عساكرُها

* * *

يَعْلَمُ أَنَّ الْأَقْدَارَ واقعةٌ * وفماً على ما أحبَّ قادرها
فتلك بغدادُ ما يُبْنَى من الدَّلالةِ * له في دورها عَصَافِرها
مُخَفَّوَةٌ * بالردي مُنْطَفئةٌ * بالصَّغَرِ مُحْصُورَةٌ جَبَابِرها

والكرخ أسواقها معطلةٌ * يستنُّ عِيَّارها وعائرها
أُخْرِجَتْ الحرب من سواقطها * آسَادُ غِيلٍ غُلْبًا تَسَاوِرُهَا
من البواري ترأسها ومن الـ * خُوصِ إِذَا اسْتَلَّمتْ مَفَاوِرُهَا
تَعْدُو إِلَى الحرب في جِوَاشِهَا الـ * صُوفٍ إِذَا مَا عُدَّتْ أَسَاوِرُهَا
كُتَابُ الْمَرْشِ تَحْتَ رَايَتِهِ * مَسَاعِدُ طَرِّهَا مَقَامِرُهَا
لَا الرِّزْقَ تَبْنِي وَلَا الْمَطَاءَ وَلَا * يَحْشُرُهَا لِلْقَاءِ حَاشِرُهَا

وهل رأيتَ الْفَتِيَّانَ فِي عَرَّصَةِ الـ * مَمْرُكُ مَغْفُورَةٌ مَنَاخِرُهَا
كُلُّ فَيٍّ مَنَاعٌ حَقِيقَتُهُ * تَشْقَى بِهِ فِي الْوِغَا مَسَاعِرُهَا
بَاتَ عَلَيْهِ الْكَلَابُ تَنْهَشُهُ * مَخْضُوبَةٌ مِنْ دَمِ أَظْفَارِهَا
أَمَا رَأَيْتَ الْخَيُْولَ جَائِلَةً * بِالْقَوْمِ مَنَكُوبَةً دَوَائِرُهَا
تَعْشُرُ بِالْأَوْجِهَةِ الْحِسَانَ مِنْ الـ * قَتْلَى وَغُلَّتْ دَمًا أَشَاعِرُهَا
يَطَّانُ أَكْبَادَ فَتِيَةٍ نَجْدٍ * يَفْلِقُ هَامَاتِهِمْ حَوَافِرُهَا
أَمَا رَأَيْتَ النِّسَاءَ تَحْتَ الْحِجَابِ * نَيْقُ تَعَادِي شُعْمَا ضَفَائِرُهَا
عَقَائِلُ الْقَوْمِ وَالْمَجَازِرِ * مَنَسَّ لَمْ تَخْبِرْ مَعَاصِرُهَا
يَحْمِلُنْ قُوَّتًا مِنَ الطَّاحِينَ عَلَى الـ * أَكْتَفَى مَعْصُوبَةً مَعَاجِرُهَا
وَذَاتَ عَيْشِ ضَنْكَ وَمُقْعِيسَةٍ * تَشْدَحُهَا صَخْرَةٌ تَعَاوِرُهَا (١)

(١) ومُفَصِّلة : في نسخة مقصدة .

تسأل عن أهلها وقد سُئِلَتْ وابشُرْ عن رأسها غفائرها
يا ليت ما والدهرُ ذو دُوَلٍ يُرجى وأخرى تُخشى بواذرِها
هل ترجِعَنَّ أرضنا كما غنيت وقد تناهت بنا مصايرها ...

ولهذه القصيدة أكثر من أهمية ، فهي تصور ما حل ببغداد تصويراً يقنعك بأنه الذي وقع ، وأن الشاعر لم يكن أكثر من امرئٍ سجل ما حدث دون تزييد ، ودون أن تشغله الكليات عن جزئيات الأسماء والوقائع والفئات ، ومن أدلة قيمتها التاريخية أن الطبري نقلها كاملة ، وهو الرجل الذي تهمة الروايات فمدها رواية ، ورواية صادقة (١) .

سجل الأحداث رجل يعرف بغداد تمام المعرفة ، في خيرها وشرها ، وفي نعيمها وبؤسها ، فكانت - بذلك - ألياته التي تصور حياة الترف وثيقة أخرى لما كانت عليه بغداد (قبل الفتنة) . وقد دعاه إلى تسجيل هذا الجانب عامل المواجهة بين ما يرى ورأى ، وعامل في يظهر الفرق الهائل بين ما هو كائن وما كان ، فيتضح أثر الفتنة ويبدو سوءها ولا بد من أن يكون هذا العامل قائماً في نفس الشاعر .

ولم يكن أبو يعقوب من دعاة الفتنة ، ولم يكن راضياً عما حل ببغداد وبأهل بغداد ، وإنما كان ساخطاً متألماً متحسراً ثائراً ، وموقفه موقف الرجل العاقل الحكيم المجرب الذي يتأمل الأسباب والنتائج ويلتزم جانب المنطق فيزيده ذلك تألماً لآلام الآخرين ، وتقض مضجعه أعمال الطيش والاعتداء ، موقف الرجل الخبير الذي لا يرتضي اشرع بعم الناس ، ولا يرضى الفتنة

(١) أما ابن الأثير ٥ : ١٥٩ فقال : وقال الحريري قصيدة طويلة نحو مائة وخمسين بيتاً أتى فيها على جميع الحوادث ببغداد في هذه الحرب - تركتها لطلوها . وقد ورد الحريري لديه على : الحريري . وهو نصيف . وينظر ابن كثير ١٠ : ٢٣٩ .

أن تقع . وإذا قامت فتنة فإنها لا تعرف جاثراً ومهتدياً ولا تميز مخطئاً من بريء ، ولا يسود فيها إلا الأشرار من كل صنف .

ولا أدل على عقله من أنه عرض مظاهر الأسى في الفتنة على وجه يكرهها ويشعها ، وأنه لم يشتف بحجة من الجهات ولم يجعل وكده شتماً أو سباً . ومع أنه كان أقرب إلى المأمون وكان يرى الحق إلى جانبه فإن الذي شغله ، أكثر ما شغله ، وكل ما شغله ، مظاهر الفتنة وما سببت من خراب ودمار وجوع وما أشاعت من أذى وظلم واعتداء .

لقد كان « إنسانياً » في قصيدته ، وإذا صور فتنة بعينها فلقصيدته قوة تبشع بها كل فتنة ، وتدعو عقلاء القوم إلى الحذر من الفتن والعمل على تجنب وقوعها .

ولم يكن الخريجي سيء القصد أو سيء النية ولم يقصد إلى أن يتملق حاكماً أو أن يحصل بشعره مالاً أو جاهاً وإنما سجل ما أحس وأرخ ما علم هادفاً إلى صالح عام . إنه شاعر ناصح شجور ، وكان الموقف أكبر من التفكير بعرض الدنيا وأكبر من الانتهاز ، وأكبر من الأملين والمأمون ، وأكبر من أن يستغله شريف لمآربه الخاصة وحاجاته القريبة .

إنه إذ ذكر المأمون ذكره عبثاً ، وإذا ذكر وزيره ذا الرياستين (الفضل بن سهل) رجاه أن يسود العقل ودعاه إلى إحقاق الحق ، وألا يأخذ البريء بالذنب ، وأن يتولى العامة برعايته وعفوه . إنها نصيحة جميلة . ثم إنه لم يتقدم بقصيدته إلى القادة الفاتحين .

ولا تقل الأهمية الشعرية للقصيدة عن الأهمية التاريخية ، فقد جمعت مزايا جمة تحلها محلاً مرموقاً وترتفع بها عن مستوى التعليم والتقرير والوعظ الرخيص ؛ ودلت على أن صاحبها من كبار شعراء العربية وأن رأيته جديرة أن تنال حقها من العناية فتحسب في عداد مختارات العصر، فكم لنا مثلها !

القصيدة طويلة ولكنها لم تفقد توازنها بين المبدأ والنتهى ، ولم يحن الطول فيها على النفس ، وإنما بقيت شعراً ، وإلا فلا يكفي الطول وحده في بلاغة الأشياء .

واستعان الشاعر - بقصد وبغير قصد - بعرق من النثر في الأسلوب ، فجعل قصيدته أقرب إلى السرد والقصص ، وجعل عبارته أقرب إلى عبارة الكاتب المتحدث مما أعانه على التفصيل وعلى الربط بين الأجزاء وعلى تشعيب الكلام وتفنينه ؛ ولكنه ، على الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من البحر المنسرح الذي نظم عليه ، لم يخرج عن العرق الشعري ، أي أن كلامه لم يستحل نثراً يؤول بالشعر إلى الجفاف والهلالة ، ويودي بالموسيقى والخيال . إن الذي أدار دفة القصيدة أستاذ متمكن ، عارف بأسرار اللغة وأسرار التراكيب ، وقد جرب طويلاً في البناء . وإنه لم يقل الشعر لكي يقال إنه شاعر ، ولم يُطل لكي يقال إنه طويل النفس ، وإنما قال لأنه متأثر متألم متأجج العاطفة في حزنه وألمه ، عميق الحسرة ، شديد الغيرة ، وقد ترك عاطفته حرّة في الإبانة والظهور وسار معها أنسى سارت حتى إذا قاربت أن تهدأ هدأ ووقف . وقد كانت عوامل الألم في النفس الإنسانية مبثوثة في كل مكان لا تكلف المرء في البحث عنها ، وكانت مظاهر الفتنة عديدة ومتنوعة ومتجددة فإذا استدعت مقابلة بما كان قبلها من نعيم ازدادت تعدداً وكان حديث الشاعر عنها متنوعاً داخل الإطار العام مما يزيد القارىء شداً إلى القصيدة وتأثراً بها وانسياقاً معها .

إنها جذيرة أن تمد في المملقات ، لو كنا في عصر المملقات . ترى أين كان كبار شعراء العصر العباسي عن أمثالها !

(٥)

كان الرجل يطيل التأمل في الناس ويميل إلى التبصر في أمور الدنيا والتفكير بالآخرة ؛ وفي الأحداث العامة ما يبعث النفس على ذلك ؛ ويكفي أنه شهد الفتنة ، فإذا جدّت أحداث خاصة ازدادت النفس رقة ومالت عما يشغل الناس به كيانه من طمع .

ومن أحداث الخريجي الخاصة في هذه المرحلة من العمر ، هذه الشيخوخة التي آلت بكلها عليه ، وهذا الموت الذي نزل بأخيه :
أقول لعيني إن يكن ملّ مُسْعدي فأيتها العينُ السخينة أسعدي

نظرت إليه فوق أعواد نعشه بمطروقة حيرى تجور وتهدي (١)
ثم نزل بابه :

ألا كلّ عيش بعد فرقة أحمد وكلّ سرور - ما بقيت - ذميم (٢)
وكان فقد عينه الثانية من أقصى ما ألمّ به وأشعره بالعجز ، فأكثر من النظم في رثائها وسار شعره في ذلك واشتهر ، ومنه قوله :

- (١) روى ابن عساكر ٢ : ٤٢٧ سبعة أبيات في رثاء أخيه .
(٢) تقع الرثية في ٢٣ بيتاً أثبتها ابن عساكر ٢ : ٤٣٦ - ٧ برواية ابن أبي الدنيا ، وهو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد وكان قرشياً في ولاء ، وكان يؤدب المكتفي ، وكان ورعاً زاهداً ، عالماً بالأخبار والروايات ندي في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة ٢٨١ وقبل ٢٨٢ ينظر الكنتي (محمد بن شاكر) - فوات الوفيات الح . محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، (مطبعة السادة) ١٩٥١ ح ١ : ٤٩٤ - ٤٩٥ ، ابن كثير ١١ : ٧١ - ٢٨١ .

أصني إلى قائدي ليُخْبِرَنِي إذا التقينا عَمَّنْ يحِشِينِي
أريد أن أعدل السلام وأنْ أفصِّلَ بين الشريف والدُّونِ
أسمع ما لا أرى فأكره أنْ أخطي ، والسمعُ غيرُ مأمونِ
لله عيني التي 'جُفَّتْ' بها لو أنْ دهرًا بها يواتيني
لو كنت 'خَيْرْتُ' ، ما أخذتُ بها تعميرَ «نوح» في ملك «قارون»
حقُّ أخلائي أن يعودوني وأن يُعزَّوا عَنِّي ويَكُونِي (١)

إنه مكروب دون شك ، ولكنه في مستوى اجتماعي حسن يدل على
مال وجاه وعز . وعرض نفسه على الطيب تلو الطيب ، وهم يعدونه خيراً ،
حتى يئس منهم وبدأ يستشعر النهاية :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعضٍ قريب (٢)

- (١) الجاحظ - الحيوان ٣ : ١١٣ ؛ ابن قتيبة ٢ : ٧٣٣ ، عيون ٤ : ٥٧ ؛
ابن الجراح ١٠٤ ، الصفدي ٧١ (أورد الصفدي الأبيات في مقدمة كتابه
« نكت الهميان في نكت العبيان » ولم ترد للخريعي ترجمة فيه ، ولا في كتابه
الثاني « الشعور بالمرور » ، مخطوط في مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة برقم ١٢٨
من قسم كتب التاريخ - وقد استعنت على مراجعته بأحد المدينين) .
(٢) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٣ ، ابن الجراح ١٠٤ ، الأصماني ١٥ : ١٠٤ - ١٠٥
(أخبار أبي الشيمس) ، المباسي ١ : ٢٥٣ .

وتنظر أبيات أخرى قلها في فقهه عينه لدى ابن قتيبة ٢ : ٧٢٢ ،
٥٧ : الصفدي ٧٢ ، المباسي ١ : ٢٥٢ ، وينظر المقابلة الجاحظ - الحيوان
٣ : ١١٣ - ١١٤ .

كان يشعر ضيقاً شديداً ويحس بغربة خانقة ، مع أن الناس باقون على احترامهم إياه ووفائهم له ؛ ولكنها الحالة النفسية التي يعانيها :

كفى حَزَنًا أن لا أُرور أجَبِّي من القُرْبِ إلا بالتكشِّفِ والجهدِ
وإني إذا حُيتِ ناجيتُ قائِدي ليعدِلني قبلَ الإجابة في الردِّ
إذا ما أفاضوا في الحديث تقاصرتُ بي النفسُ حتى ما أحيروا ما أبدي
كأنني غريب بينهم لستُ منهمُ وإن لم يحولوا عن وفاءٍ ولا عهدِ
أقاسي خطوباً لا يقوم بثقلها من الناس إلا كلُّ ذيِ مرَّةٍ جَلَدِ (١)
ونحن نعلم أن الخريجي « عمي » . في آخر عمره ، (٢) و « بعد ما أسن » (٣) ،
ولكننا لا نملك من المصادر ما يبيِّن سني العمر أو تاريخ الوفاة أو مكانها ،
ولعله توفي ببغداد بعد أن نيَّف على الثمانين (٤) .

وقد ذكر أحد المؤلفين المعاصرين لنا أن الخريجي مات سنة ٨١٥ - ٨١٦ للميلاد (٥) أي ما يمكن أن يساوي عام ال ٢٠٠ للهجرة ؛ وقال آخر إنه توفي سنة ٢١٤ للهجرة (٦) ، ولم يدل على مصدرها .

- (١) الجاحظ - الحيوان ٧ : ١٥١ - ١٥٢ . وقد وردت فيه وإن لم يحولوا ، على :
فان لم يحولوا .
(٢) ابن المراح ١٠٤ .
(٣) ابن قتيبة ٢ : ٧٣٢ .
(٤) وقد يعني التصير البش أكثر من المئة - بنظر السجستاني - المعمرون .
(٥) برون ٢٦٨ . ١ .
(٦) محقق كتاب ابن المتر ٥١٧ .

ويمكن القول إن الخريمي عاش أكثر من ذلك .
وتبقى المسألة خاضعة للنقاش ؛ ويبدو أن خبر وفاة أبي يعقوب فقد
مبكراً (١) . كما لم نعلم عن أعقاب الشاعر شيئاً (٢) .

(يتبع) الرياض — جامعة الرياض الدكتور علي جواد الطاهر



- (١) فلم يمن به مصدر من هذه المصادر الكثيرة التي تدبر في نظامها على السنوات ،
وفي مقدمتها الطبري الذي لا يجهل الخريمي . ولعل عمى الخريمي وشموه الصيق
بالمجز دفناه إلى أن يتزل الناس ويموت منسياً أو شبه منسي .
(٢) وقد يكون أعقب مالا وما إليه ، لكننا نجهل كل شيء عن أولاده بعده ،
وعمن يكونه « يعقوب » .

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

- ٥ -

(المجلد الأول)

- ٣٨٨: ١٥ الزلّة ما يحمل من المائدة من الطعام لغة عراقية وهي بالفارسية أيضاً ، (٢ : ٢٥٣ / ٢) .
- ٣٨٨: ١٧ الصواب : ومُسَمِّعةٌ وحكّ ح (٢) .
- ٣٨٩: ١٠ لعل الصواب دانت له الحكيم أو واث .
- ٣٩٠: ٩ غرس النعمة في المفوات (ورأيت منه نسختين باستنبول)
- والتنوخي في النشوار ١ : ٢٥٥ ، (٢ : ٢٥٦ / ٦) .
- ٣٩٠: ١٠ النشوار أبو الحسين بن عيَّاش ، (٢ : ٢٥٦ / ٨) .
- ٣٩٠: ١٤ النشوار حتى أجلسك على لبود وأطعمك طباخة بكبود الخ ، (٢ : ٢٥٦ / ١٢) .
- ٣٩٠: ١٥ النشوار غناء الممدود ، (٢ : ٢٥٦ / ١٥) .
- ٣٩٠: ١٩ (ولن) ليس في النشوار .
- ٣٩١: ٣ النشوار حبّاً للصيّى ، (٢ : ٢٥٧ / ١٠) .
- ٣٩١: ٤ الصواب : فطرب كالنشوار .

- ٤٧٠ -

- ٣٩١ : ١١ الصواب : وحالفه كالخطيب وعنده بسنيين و (عظم النعمة) ،
 . (٢ : ٢٥٨ / ٦) .
- ٣٩١ : ١٦ الصواب : وفي غضار كالخطيب وعنده موارد . والغضارة
 تأتي على الصواب في ص ٣٩٥ ، (٢ : ٢٥٨ / ١٢) .
- ٣٩٢ : ١١ الصواب في الخطيب : وغناء مغنّية أحضرتها له كنت آلفها ،
 . (٢ : ٢٦٠ / ١) .
- ٣٩٢ : ١٣ الصواب محفته ، (٢ : ٢٦ / ٤) .
- ٣٩٣ : ١١ المصوص : طعام من لحم ينقع في الخلّ ثم يطبخ .
- ٣٩٤ : ٩ الصواب : للقاء ثم منعي .
- ٣٩٦ : ٨ الصواب : يا ابن الكبير ، (٢ : ٢٦٧ / ٦) .
- ٣٩٧ : ٦ لعله (إلى خيلٍ لنائله) أو (ونائله) ، (٢ : ٢٦٩ / ٥) .
- ٣٩٧ : ٧ أبو علي المحسن في النشوار ١ : ٢٠٣ ، (٢ : ٢٦٩ / ٧) .
- ٣٩٧ : ١١ افتديتها وفي النشوار أقربتها ، (٢ : ٢٦٩ / ١٢) .
- ٣٩٨ : ٢ الصواب : في النشوار وأسرج لي وعنده (أكلت شيئاً) .
- ٣٩٨ : ٨ الصواب : عن تشعيته كالنشوار ، (٢ : ٢٧١ / ٣) .
- ٣٩٩ : ٣ النشوار تبكّر ، (٢ : ٢٧٢ / ٦) .
- ٣٩٩ : ٤ كارة كالنشوار ما يحمل على الظهر ، (٢ : ٢٧٢ / ٨) .
- ٣٩٩ : ٩ النشوار عليك الكثير ، (٢ : ٢٧٢ / ١٤) .
- ٤٠٠ : ١ الصواب : النشوار فلما أصبحنا .
- ٤٠٠ : ٢ الصواب : وفي الآخر كالنشوار ، (٢ : ٢٧٤ / ١) .
- ٤٠٠ : ٤ قال أي التنوخي في نشواره ١ : ٢٤٩ ، (٢ : ٢٧٤ / ٥) .
- ٤٠٠ : ٨ النشوار كان طاوي سبع وأراه الصواب ، (٢ : ٢٧٤ / ١٠) .
- ٤٠٠ : ٩ النشوار يرمقه بغيظ ونحن الخ وهو الوجه ، (٢ : ٢٧٤ / ١١) .

- ٤٠٣ : ١٢ الصواب : غيلاته وهي ثوب ، (٢ : ٢٨٠ / ٥) .
- ٤٠٥ : ٤ الصواب : باب الأزج من محال بغداد .
- ٤٠٥ : ٦ الصواب : هذا فيها حذو الحريري ، (٢ : ٢٨٢ / ١٥) .
- ٤٠٥ : ١٠ مراتب النحويين نسخته الفذة ص ١٣٤ . وترجم الزبيدي
- ١٢٧ لأبي نصر ، (٢ : ٢١٣ / ٦) .
- ٤٠٥ : ١١ المراتب : جعفر بن محمد يتكره ، (٢ : ٢٨٣ / ٧) .
- ٤٠٧ : ٤ لترجمته الفهرست ١٠٤ .
- ٤٠٨ : ٤ اليت مختل الوزن ، (٣ : ٥ / ١) .
- ٤٠٨ : ٨ الخطيب ١٧٩٣ والصواب : سمع من المدائني ، (٣ : ٥ / ١٠) .
- ٤٠٨ : ١٤ اليتان في الفهرست ورسالة الحجاب في طراز المجالس ٩٢ ،
- (٣ : ٦ / ٤) .
- ٤٠٩ : ١ الأبيات عند الطبري سنة ٢٥١ ستة عشر . (٣ : ٦ / ١٢) .
- ٤٠٩ : ٥ الصواب : (في بشر حاجب الخ) .
- ٤١٠ : ١٩ الصواب : (إنما هو الحسن) .
- ٤١١ : ٥ الصواب : علي ما في النزهة ٣١٥ والبغية ١٣٠ (أحمد بن
- الحسن) ، (٣ : ١١ / ١) .
- ٤١١ : ٩ الصواب : (أبي بكر بن السراج) .
- ٤١١ : ١٨ الصواب : علي ما في المنتظم ٧ : ١٦٥ صاحب الفلسفة وترجم
- له هو والجزري في القراء رقم ٢٠٨ .
- ٤١٢ : ٧ الصواب : بن خزيمة .
- ٤١٣ : ١ الصواب : مشكان ترجم له ابن الجزري ٣٦٢٨ قال ويقال
- بالسين أيضا ، (٣ : ١٤ / ١٢) .

٤١٣: ٧ وفي القراء رقم ٣٩٠ علي بن عبيد الله بن عمر وكذا
المنتظم ١٣٥: ٩ رقم ٢٠٨ والشذرات ، (٤ : ٤٦ / ١) .
٤١٤: ٥ أبو علي الصدّ في هذا رواية مكثّر ولابن الأَبّار معجم في
أصحابه وطبع بإسبانيا ، (٤ : ٤٧ / ١٦) .

٤١٤: ١٦ طبقات المفسرين للسيوطي رقم ٥ ، (٤ : ٤٩ / ١) .
٤١٥: ١٤ ينايع اللغة هذا رأيت مجلده الأوّل بداهلي عند السيد
الجعفري وتاج المصادر طبع مراراً يومباي ولكنو وداهلي ، (٤ : ٥٠ / ١١)
٤١٦: ٧ الصواب : لغوياً ناسباً لأنه كان من علماء الأنساب . هذا
وللرشيد ترجمة في الوفيات والطالع السعيد ٤٧ والشذرات سنة ٥٦١ و ٥٦٢ هـ .
وبأني أخوه ٣: ١٥٧ وكنيته في الطالع والشذرات أبو الحسن . قال الأدفوي
وقد وقفت على محضر كتبه باليمن فيه خط جماعة كثيرة إنه لم يدّع الخلافة
وأنه مواظب على الدعوة للخليفة الخ ، (٤ : ٥٢ / ٣) .

٤١٦: ١٧ الصواب : أمنية الألمي ومنيّة المدعي وتعرف بالمقامة الحُسيّية
طبعها الصديق O. Rescher سنة ١٩١٤ م في المجلة Le Monde Oriental
عن كُتُبخانه راغب باشا (أدبيات رقم ١١٥٩) في ١٣ ص والأصل مع الشرح
في ٢٥٩ ورقة ومنها نسخة بالخالدية ، (٤ : ٥٤ / ١١) .

٤٢٠: ٣ الصواب لعله : فترَبَّدَ وجه .

٤٢٠: ١٧ أولها راجع له ٣: ١٥٨ فالصواب هكذا : (عن قصيدته

أي المذهب التي أولها :

ياربع أين ترى الأُجّة يَتمّوا [هل أنجدوا من بعدنا أم أتهموا]
رحلوا فلا خلت المنازل منهم ونأوا فلا سلت الجوانح منهم
أعني أن قصيده المذهب أولها يارب البيت وأول كلمة الرشيد رحلوا البيت .

م (٦)

وانظر الشذرات سنة ٥٦٢ هـ وفيه في البيت الثاني قد كتموا الفداة وهو الصواب ،
(١١ / ٦٢ : ٤) .

٤٢١ : ١٣ الصواب : سهرت كما في الشذرات ، (٦ / ٦٤ : ٤) .
٤٢٣ : ١١ عُصرة المنجود في بيت أبي زبيد في جمهرة الأشعار ١٣٨ ،
(١١ / ٦٨ : ٤) .

صاديا . يستغيث غير مغاث ولقد كان عُصرة المنجود
٤٢٤ : ١٧ الصواب : بالحریم الطاهري .
٤٢٥ : ٣ الصواب : أبي الحسين المبارك (٩ / ٧١ : ٤) .

★ ★ ★

(المجلد الثاني)

٤ : ٣ لفدة هذا تأتي ترجمته ٣ : ٨١ ، (١١ / ٧٢ : ٤) .
٣ : ٥ الصواب : عبد العزيز بن دلف ... ودونها ، (١ / ٧٣ : ٤) .
٣ : ١٢ الصواب : من مجرّها .
٤ : ١٤ الصواب : : ودبّ اليلّي .
٥ : ١٢ الصواب : أشعار كثيرة .
٦ : ١ الصواب : عندس من زجر البغال وح (١) غلط ، (٢ / ٧٩ : ٤) .
٦ : ٦ الحاشية (٢) غلط .

٦ : ٩ ابن الجوزي في المنتظم ٧ : ١٠٣ رقم ١٣٧ وانظر لابن فارس
اليتيمة ٣ : ٢١٤ الوفيات الزهدة ٣٩٢ الدمية ٢٩٧ طبقات المفسرين
للسيوطي رقم ٦ فهرست الطوسي رقم ٧١ البنية ١٥٣ . وقوله (مات سنة ٣٦٩

وقال الخ (هذا كله من قول ابن الجوزي وفي البنية عن الذهبي أنه توفي سنة ٣٩٥ قال وهو أصح ما قيل في وفاته على ما يأتي هنا أيضاً ص ١٢ ، (٤ : ٨٠ / ٢) .

٦ : ١٤ الصواب : على كتاب تمام الفصيح ومعلوم أن الفصيح ليس له وإنما له تمام فصيح الكلام وهو في معنى فائت الفصيح لأبي عمر الزاهد وكنت نسخته في ٢١ صفحة سنة ١٣٤٨ هـ عن نسخة ياقوت صاحبنا نقلها سنة ٦١٦ بمرو الشاهجان عن نسخة ابن فارس بخطه في رمضان سنة ٣٩٣ (لا ٣٩١ كما هنا عنه) بالحمدية وهي حصن بالري هذا وطبعة الصاحي سنة ١٣٣٨ أصلها عن نسخة عليها خط المؤلف بالحمدية سنة ٣٨٢ رأيتها بعيني في كتبخانة ولي الدين بجامع بازيد في استنبول .

٦ : ١٧ الصواب : عن أبي بكر راوية ثعلب كما في النزهة
٧ : ٦ الصواب : مثنى رزق . كما نقله غير واحد .

٧ : ١١ و ١٧ جعل الكتاب الواحد (فقه اللغة الصاحي) كتابين . طبع من الجمل جزء . والصواب مقدمة في النحو . في النزهة والبنية كتاب دارات العرب . وكتابه في السيرة هو كتيب صغير كان طبع قبل القرن الحاضر بيومباي على الحجر . ويوجد بأياصوفيا التذكرة السعدية نقل مؤلفه في كل باب عن حماسة ابن فارس أشياء . وأما مقاييس اللغة له فانه يوجد بالمعجم والنجف ومصوّراته بمصر ودمشق رأيت ، وذكر ابن خير ٣٧٤ كتاب التاج له ورأيت بخزانة لالهلي ١٧١٦ شرحه على الحماسة الجزء الأول واستنسخ صديقنا أحمد صافي النجفي شاعر العراق أيام مقامه بطهران كتاب الأنواء لابن فارس وهو في ١٣ ورقة . وله المذكر والمؤث بالتيمورية .

٨ : ٢ خلق الانسان طبع بمجلة لغة العرب بغداد فبراير ١٩٣١ م في ست صفحات . وطبع بمجلة Islamica كتاب اللامات ص ٨١ — ٨٨

سنة ١٩٢٤ م وطبع الماخر مقالة كلاً له في ثلاث رسائل مصر ١٣٤٤ هـ
(٤ : ٨٤ / ١٣) .

٩ : ١٣ اليتيمة فلس إفلاس ، (٤ : ٨٧ / ١٣) .

١٠ : ٢ الصواب : إلا .

١٠ : ٥ حفطي من شرح المتنبي للمكبري ففعلك للخير قل لي متى ،

(٤ : ٨٨ / ١٥) .

١٠ : ١٣ الصواب : أحمد بن فارس بن زكريّا ، (٤ : ٨٩ / ١٠) .

١١ : ١ الفلاحي لعله محمد بن زكريّا المترجم له في لسان الميزان برقم ٥٧١

والفهرست ١٠٨ وهو ضعيف توفي بعد ٢٨٠ هـ ، (٤ : ٩٠ / ٣) .

١١ : ٦ وذكر في ٣ : ٤٩ قصيدة أخرى في مثل معناها للفارقي وترى

في تاج العروس أن معاني العين أوصلت إلى ٥٠ وهي كالحال ، (٤ : ٩٠ / ٩) .

١١ : ١٠ الصواب : تدني مشعشة ، (٤ : ٩١ / ١) .

١٢ : ١٢ من ثلاثة أبيات لامرأة من طيء خرج جناها في السمط ٢٧٢ ،

(٤ : ٩٣ / ٣) .

١٣ : ٤ ابن بابك هذا له ترجمة في اليتيمة ٣ : ١٩٤ والمعاهد ١ : ٢٤

ورأيت الجزء الثاني من ديوانه بكتبخانة لاله لي (د - ش) برقم ١٧٥٧ ،

(٤ : ٩٤ / ٤) .

١٣ : ٩ نواكم لا غبار عليه .

١٤ : ٢ الصواب : أبا الحسين ، (٤ : ٩٦ / ٣) .

١٤ : ٣ الصواب : موضع الخلال ، (٤ : ٩٦ / ٤) .

١٥ : ٦ الصواب : الحباب ، (٤ : ٩٩ / ٣) .

١٥ : ١١ البنية ١٥٣ علي بن لال ، (٤ : ٩٩ / ٩) .

- ١٥ : ١٧ الصواب : وثاولتها .
- ١٦ : ٥ السمعاني في الأنساب ٦٠ وابن الجزري في القراء رقم ٤٤٠ ،
(١ / ١٠١ : ٤) .
- ١٦ : ٩ السمعاني (من أبي عبد الله محمد بن إسحق بن منده الحافظ
وأبي إسحق إبراهيم بن عبد الله بن خَرَسْتَد قوله (؟) التاجر) وفيه
بعض الصواب ، (٧ / ١٠١ : ٤) .
- ١٦ : ١٨ الصواب : ابن يزيد أبو بكر . ترجمته عند الخطيب برقم ٢٢٠٩
ولسان الميزان ج ١ رقم ٧٧٦ .
- ١٧ : ٣ الخطيب : وتواريخ أصحاب الحديث ، (٤ : ١٠٤ / ٢) .
- ١٧ : ١٢ الصواب : وأبو عبيد الله ، (٤ : ١٠٤ / ١٠) .
- ١٧ : ١٤ الخطيب : للأخبار والعيبر ، (٤ : ١٠٥ / ١٤) .
- ١٧ : ١٧ الخطيب : عن فضل إنعام وقبح أثم أي ان فضل الإحسان
وقبح الإثم مما لا يختلف فيه اثنان وما هنا مصحّف ، (٤ : ١٠٦ / ٥) .
- ١٨ : ٣ الخطيب : على الأخبار .
- ١٩ : ٤ المنتظم ٨ : ٨٣ الضي ٤٦٢ المصارع ١٩٤ تزيين الأسواق ١٦٢
الواضح المبين ٩١ ، (٤ : ١٠٩ / ١) .
- ١٩ : ٥ ولا أدري ألح وذلك أن راوي الخبر هو محمد بن الحسن
المذحجي الزبيدي وتوفي ٣٧٩ كيف يشاهد وفاة ابن كليب سنة ٤٢٦ ،
(٤ : ١٠٩ / ٣) .
- ٢٣ : ٢ قال القائل هو أبو محمد بن حزم ، (٤ : ١١٥ / ١٤) .
- ٢٣ : ١٤ التزيين ١٧٠ وديوان الصبابة بهامشه ٢٥٠ (سعيد) في
المظان كلها ، (٤ : ١١٦ / ١٤) .
- ٢٤ : ٣ الصواب : مبرّحاً وجعل يعمل ، (٤ : ١١٧ / ٨) .

- ٢٥: ١٣ الصواب : عليه مسرحه .
- ٢٦: ٩ الخبر في المصارع ١٥٩ و ٤٠٠ و ٣٤١ والتزين ١٦٣ وديوان الصبابة ٢٥٢ عن معجم الأدباء . وترجم الخطيب لمدرّك هذا ٧٢٣١ وسماء ابن محمد أبا القاسم الشيباني وله ترجمة في هذا السابغ المنحول من الأدباء رقم ٨٨ ، (٤: ١٢٢ / ١٠) .
- ٢٧: ٥ القصيدة في مائة بيت .
- ٢٨: ٩ خبر الأحول أحمد المحرر من وزراء الجهشيارى في بدائع البدائة ١٢٧٨ هـ ص ٢٧ . وانظر للأحول المحرر ٢: ٢٢٥ ، (٤: ١٢٦ / ٧) .
- ٢٨: ١٦ الصواب : ولكن أعطيه ، (٤: ١٢٨ / ٤) .
- ٢٩: ١ الصواب : كل ما كان .
- ٢٩: ٩ الصواب : ربيطه ، (٤: ١٢٩ / ٧) .
- ٣٠: ١٢ الفهرست في الأثواب منبطح .
- ٣٠: ١٦ الصواب : أبي عبد الله محمد كما في الفهرست ، (٤: ١٣٢ / ٦) .
- ٣٠: ١٧ الصواب : البرقي القمّي ، (٤: ١٣٢ / ٧) .
- ٣٢: ٢ الصواب : كتاب الزجر .
- ٣٣: ١٩ يعصى لا غبار عليه بمعنى يضرب به كالمصا ، (٤: ١٣٨ / ١) .
- ٣٤: ١٥ ابن عساكر حننت وهو الصواب وحبت وحملت تصحيفتان .
- ٣٥: ١٤ وله بيتان آخران في حروف المدجم ذكرها الزبيدي أيضا : -
- (٤: ١٤٢ : ١٣) :

فطلبها ومضى الفرزدق ظاعنا إذ صحّ شخص بالعيشة كهسا

حجّ الرعيّ بخنث ظاعنا فطنى وضقت بالين صدرا إذ هم شحطوا

٣٥: ١٨ هاك سواد الياض أو رَأَبَ الثأى من الزبيدي : -

نفسى تحدّثني بأنك غادر وهوايَ فيك على ذنوبك سائر

تَعِدُّ الوقاء وأنت تُظهِر غيره ولقد يدلُّ على الضمير الظاهرُ
 لك مقلة طمّاحة مقسومة بين الجميع كما يدور الدائر
 لو زار بيتك كلَّ يوم عسكرُ أرضاهم لحظُّ بعينك فاطر
 ومن البلاء بأن عينك فتنُ للعالمين وأن وجهك ساحر
 (اليميني : كذا ولو كان قال ومن البلاء أن سلم وقوله فتن أي شيء فتن)
 وإذا برزت فكل قلب طائر شوقاً إليك وكل طرف ناظر
 ولديك إسعاف لهم وإجابة وهو الذي ما زلت منك أحاذر
 في دون هذا للمتيّم سلوة عن إلفه لو أن قلبي صابر
 ولأهجر نكّ جازعاً أو صابراً إني إذا إلفُ تنكّرَ هاجر
 . (٤ : ١٤٣ / ٤)

- ٣٩ : ١ أبو هفان عبد الله بن أحمد ترجم له في النزهة ٢٦٧
 الخطيب ٩ : ٣٧٠ الفهرست ١٤٤ ، (٤ : ١٤٩ / ١١) .
 ٣٩ : ٦ الصواب : نثام بتقديم النون ، (٤ : ١٥٠ / ٤) .
 ٤٠ : ١٣ ديوان البحري الجواب ١ : ١٥٨ وفيه أنها في أبي العباس
 ابن بسطام وفيه في البيت الأخير كفيت مُيَمِّها كأدب الصولي ١٧٧ وفيه
 حكاية البرد يرويها عنه الصولي ، (٤ : ١٥٢ / ١٢) .
 ٤١ : ١٤ عبد السلام ترجمته في المنتظم ٧ : ٢٧٣ وأبي العلاء وما إليه ١٢١
 والخطيب ٥٧٣٩ وطبقات الجزري ١٦٤٤ ، (٤ : ١٥٤ / ٨) .
 ٤٤ : ١٣ الصواب فالعقل يدفع ، (٤ : ١٤٠ / ١٣) .
 ٤٦ : ٣ الصواب : إيزاع الشكر ، (٤ : ١٦٣ / ١٠) .
 ٤٦ : ١٠ الصواب إن شاء الله : بشيخ دبراني أدبر شبابه ، (٤ : ١٦٤ / ٧)
 ٤٦ : ١٢ لعله من كل الأطراف .
 ٤٧ : ١٣ الصواب : والله ولي المؤمنين ، (٤ : ١٦٧ / ١) .

- ٦:٤٨ الصواب : مجدور من الجُدريّ .
- ١٢:٤٨ الصواب : من طرائف ، (٤ : ١٦٨ / ١٢) .
- ٢:٤٩ الميل والتخت أو اللوح كانوا يستعملونها للمسائل والحساب والهندسة وكان يكون الميل من الرصاص وذلك لقلّة الورق قال ابن هندو : بين يديه الميل والتخت كي يحسب ما يبلغ كم يبلغ .
- راجع ذيل سمط اللآلي ٤٢ الدمية ١١٥ طبعتا القالي ٨٨ ، ٨٧ و ١٨٦ ، ١٨٢ ، ٤٤ : (١١ / ١٦٩) .
- ١٥:٤٩ وجيّاً هو الصواب ووجوباً لا معنى له .
- ١٨:٥٠ الصواب : عبيد الله كذا يقال وكذا قال ياقوت غير مامرة ، (٥ / ١٧٣) .
- ٣:٥٢ تهذيب الألفاظ ص ١٦٦ .
- ١١:٥٢ الصواب : نبت بن جميل ، (٩ / ١٧٦ : ٤) .
- ١٤:٥٢ المعروف في السيرة في النسب الزكي إدريس بن يرّد ، (٤ : ١٧٦ / ١٣) .
- ١٩:٥٢ الصواب : بالشرة ، (٤ : ١٧٧ / ٦) .
- ٧:٥٥ (روشن قبادوا) انظر هل هو تصحيف رؤوسْتَقْبَاد بقرب بغداد الكوفة ، (٤ : ٦٨١ / ٧) .
- ١١:٥٥ الصواب : وكتبت في الحبس ، (٤ : ٦٨١ / ١٣) .
- ٢٠:٥٥ الصواب : كلّ ما .
- ٣:٥٨ ولكن لا يوجد في ترجمة الصولي من هذا الجزء السابع المنحول ، (٥ / ١٨٧ : ٤) .
- ٦:٥٨ الصواب : وروى الفهرست ٨٠ ، (٤ : ١٨٧ / ٨) .
- ١٣:٥٨ الفهرست ١٣٥ ، (٤ : ١٨٩ / ٥) .

١٨: ٥٨ الفهرست ٨٤ .

٦٠: ٩ ترجم له الخطيب ٢٥٤٧ قرأه ابن الجزري ٥٢٧ و ٥٢٩ ،

(١ / ١٩٣ : ٤) .

٦٠: ١٤ هذا كله لا يوجد في طبعة الفهرست هذه ، (٤ : ١٩٣ / ٨) .

٦٠: ١٧ هو أحمد بن الحسين بن مهران مؤلف الغاية في الشعر ترجم

له ابن الجزري في القراء ٢٠٨ ، (٤ : ١٩٣ / ١٣) .

٦٠: ١٩ هنا خلاف المعروف فالعروف إلى طبرية الشام طبراني وإلى

طبرستان طبري ، (٤ : ١٩٤ / ١) .

٦١: ١٠ عمير وتقدم عميرة . وقد روى هذا الخبر والشعر الخطيب

في التطفيل له ٤٦ قال أخبرنا علي بن أبي علي (يريد القاضي التنوخي الصغير)

أنا إبراهيم بن أحمد (نسخة : محمد) بن محمد المقرئ نا المظفر بن يحيى أنشدني

أبو الحسن الأسدي لنفسه : - كنت الخ . وفيه لرأيت العذراء و (لورأيت)

مجرد استشراف لا وجه له ، (٤ : ١٩٦ / ٧) .

٦٢: ١٩ جراب الدولة هذا ترجم له ابن التديم ١٥٣ وانظر مقالتي

« جراب الدولة رجل لا كتاب » في الزهراء ص ٣٢٦ ذو القعدة ١٣٤٧ هـ

ورأيت الجزء الأول من الترويح والأصل بباريس في ١٣٤ ق وانظر الزهراء

ذو القعدة ١٣٤٦ هـ ص ٥٦٢ أيضا . وروى الجرجاني في الكنايات ٣٠ عنه خيرا ،

(٤ : ١٩٨ / ١٣) .

٦٣: ٥ لترجمته الفهرست ١٥٤ .

٦٣: ١٠ أبو عبيد . ومرآة أنفاً أبو عبد الله كما سيأتي أيضا ، (٤ : ٢٠٠ / ٦) .

٦٣: ١٧ الزبيدي ١٤٨ وقد ترجم للوليد أبي الولاد بن محمد الجد

ولأخيه أبي القاسم عبد الله ولأبيه محمد ولكن الزبيدي نسبته هكذا (محمد

ابن الوليد بن ولاد) وتقدم له أن الولاد هو الوليد وعند ابن خير ٣٨٦

و ٣٥٤ (... الوليد بن ولاد) وأخرى ما يوم أن الوليد هو الولاد ،
(١ / ٢٠١ : ٤) .

٦٤ : ١ سنة ٣٠٢ . الذي في أصل الزبيدي بخط ابن هشام اللخمي
أحمد بن علي سنة ٦٥٨ هـ (سنة ٣٣٢ هـ) وقوله ساداً في أصل الزبيدي
أستاذاً ، (٢٠٢ : ٤ / ٢٠١) .

٦٤ : ٨ الصواب : (وقال ليس في كلام) عن الزبيدي وترى هذا
المجلس مع شرح المسألة في الأشباه ٣ : ٩٢ و ١٤٨ مع مسائل أخرى جرت
بينها عن سفر السعادة للعالم السخاوي إلى ص ١٧١ .
٦٤ : ١٠ الصواب : وإنما تفقّله .

٦٤ : ١٣ زد في مؤلفاته كتاب النقائض له ، (٤ : ٢٠٣ / ٥) .

٦٤ : ١٤ لترجمته الأنساب والبغية ، (٤ : ٢٠٣ / ٦) .

٦٤ : ١٧ الصواب : (فاق فضلاء) كما فيها ، (٤ : ٢٠٥ / ١) .

٦٥ : ١٧ أبو تراب هذا ذكره النديم ٨٤ ، (٤ : ٢٠٨ / ٥٢) .

٦٦ : ٤ الصواب : بالحيرمي المنسوب إلى الحرّم حيرمي بالكسر
انظر الزهراء ٦٣ الربيعان ١٣٤٦ .

٦٦ : ٦ الصواب : وجدت عنه .

٦٦ : ١٨ البغية : فإذا تكلم ، الأنساب : ولكن إذا ، (٤ : ٢١٠ / ٦) .

٦٧ : ٧ ترجم له ابن الفرّاضي ١١٨ والضبيّ ٣٢٧ والمطمح الجوائب ٥١

واليتيمة ١ : ٣٦٠ والوفيات رقم ٤٤ والنفخ مصر ٢ : ٢٦٦ و ٣٢٢ .

٤ : ٢١٧ . والصواب حدير لا غير ككيت كذا ضبطوه .

٦٧ : ٩ (سنة ٣٤٨) صوابه ٣٢٨ هـ .

٦٧ : ١٤ قول الصاحب مثله في رسالة أبي علي بن الرّيب التميمي

كتب بها إلى أبي المغيرة بن حزم في النفخ ٢ : ١٢٦ .

٦٧: ١٧ الصواب : للحكم بن عبد الرحمن وهو المستنصر بن الناصر ،
(٤ : ٢١٥ / ٥) .

٦٨: ٨ الصواب : حتى رثي ، (٤ : ٢١٦ / ٤) .

٦٨: ١٣ الصواب : في كبدي ، (٤ : ٢١٦ / ١٣) .

٦٩: ١٣ الأبيات ٦ في المطمح والضبي ، (٤ : ٢١٨ / ١٢) .

٦٩: ١٦ الصواب : ذو النَسَبَيْنِ بين دحية . راجع لترجمته النفح

١: ٢٦٨ وحسن المحاضرة ١٢٩٩ هـ ١: ٢٠١ ومرآة الزمان ٨: ٤٦٢

سنة ٦٣٣ وتوفي سنة ٦٣٣ هـ وأما مسنده للعقد فإن ابن خير رواه عن ابن

معمّر الخ ص ٣٢٧ فهرسته ، (٤ : ٢١٩ / ٤) .

٧٠: ١٧ الصواب : في التَّحَفِ والهدايا والنَّتَفِ والفُكَاهَاتِ والمُلَحِّ .

٧١: ٥ الصواب : أفضع يوم . وهذه الأبيات في اليتيمة ١: ٣٥٧

الحبيب بن أحمد الأندلسي ، (٤ : ٢٢١ / ١١) .

٧١: ٩ المطمح : أبا الوليد بن عباد وعنه النفح : الوليد بن عقال .

وقوله (قال) لم يتقدم مرجع الضمير وهو صاحب المطمح . والأبيات القافية

منسوبة في اليتيمة ١: ٣٦٤ لعبد الملك بن سعيد المرادي ولابن عبد ربه

في شرح مقصورة حازم ١: ١٨٣ ، (٤ : ٢٢٢ / ٤) .

٧١: ١٤ الصواب : من الحياء ، (٤ : ٢٢٢ / ١٢) .

٧٢: ٩ للنحاس أصل الزبيدي ص ١٤٩ الوفيات رقم ٣٨ النزدة ٣٦٣

البغية ١٥٩ ، (٤ : ٢٢٤ / ٧) .

٧٢: ١٢ وثبت على نسخته شرح السبع له في أحمد الثالث أنه توفي

سنة ٣٣٨ هـ ، (٤ : ٢٢٥ / ٢) .

٧٢: ١٦ الصواب : وحدّثني . وهذا الحديث عن الزبيدي ويوجد في

- النفح ١: ٣٣٢ والضي والأيات لم أجدها في الأغاني ولا في ديوان المجنون
رواية الوالي تبريز ١٢٧٣ هـ ، (٤ : ٢٢٦ / ٦) .
- ٦: ٧٣ الصواب : (قيل لي أين أنت من أبي العباس) عن الزبيدي
والنفح ، (٤ : ٢٢٧ / ٩) .
- ٧: ٧٣ الصواب : فأخرجه إليّ .
- ٩: ٧٣ الصواب : التقدير وهو الإقتار .
- ١٠: ٧٣ الصواب : شراء حوائجه ، (٤ : ٢٢٨ / ٣) .
- ١٥: ٧٤ في نسخ الفهرست ١٣١ حماوه وحماده أيضا ، (٤ : ٢٣٠ / ١٠) .
- ١: ٧٥ عنه البنية ١٦٠ .
- ٩: ٧٥ ابن الفرضي ١٩٢ ونكت الهميان ١١٤ .
- ١٤: ٧٥ العروضي هذا كان مرسوماً بتأديب المتقي وكان له عند الرازي
جاء ومكانة ذكره الصولي في أخبار الرازي ٨ وغيرها ترجم له الخطيب ٢٥٦٩
قال وذكر ابن الثلاثج إنه توفي سنة ٣٤٢ هـ ، (٤ : ٢٣٣ / ١١) .
- ٢: ٧٦ علي بن أحمد . كذا وتقدم أحمد بن محمد ، (٤ : ٢٣٣ / ١١) .
- ١١: ٧٦ الصبي ٣٢٩ و٣٢٨ والتاريخي غير الرعيني .
- ١٤: ٧٦ الصواب : ذكره ابن حزم ، (٤ : ٢٣٥ / ٣) .
- ١٥: ٧٦ الضبي ٣٣٠ ابن الفرضي ١٣٥ رسالة ابن حزم في النفح ٢ : ١٣٣
- ٩: ٧٧ فَرَّحَ بالحاء المهملة الساكنة لا غير النفح ١ : ٤٢٢ وترجمة
أبي عمر في المطمح ٧٩ ، (٤ : ٢٣٦ / ١١) .
- ١٠: ٧٧ الصواب : أبو عمر ، (٤ : ٢٣٦ / ١٢) .
- ١٥: ٧٧ الصواب : تكرر . و (لأبي بكر) كذا عند غيره أيضا
ولا أستبعد (كأبي بكر) ، (٤ : ٢٣٧ / ٦) .

- ٥ : ٧٨ مختصر ابن عساكر ٢ : ٥٢ وعنده (... بن أحمد بن محمد
 ابن سعيد بن أبي مرزوق) وذكر له مؤلفاً سماه فتق الأفهام ، (٧ / ٢٣٨ : ٤) .
 ١٣ : ٧٨ ترجمته في المنتظم ج ٧ ص ٢٦٠ الخطيب ٢٤٧٠ ، (٤ : ٢٣٩ / ٥) .
 ٢٠ : ٧٨ أبو اليمن بالضم زيد بن الحسن الحافظ ترجمته في البنية ٢٤٩
 و مرآة الزمان ٨ : ٣٧٧ سنة ٦١٣ هـ ، (٤ : ٢٤٠ / ٧) .
 ١ : ٧٩ في الكلام سقط مداده من الكتاين : كتي بعشرة آلاف
 درهم وجاريتي بعشرة آلاف درهم وسلاحتي بعشرة آلاف درهم ودوابي الخ ،
 (٤ : ٢٤٠ / ١٠) .
 ٤ : ٧٩ أغفل عنه أبو نعيم في أخبار أصبهان وذكره ابن عساكر
 ١ : ٤٤٤ وابن الجزري في القراء ٤٦٤ والصواب ... بن الحسن بن سعيد ،
 (٤ : ٢٤١ / ١) .
 ١٣ : ٧٩ ترجم له ابن الفرضي ١٣٦ والزبيدي ص ٢٠٦ ، (٤ : ٢٤٢ / ٤) .
 ١٨ : ٧٩ الصواب : محمد بن الحسن وإن كان عند ابن الفرضي غير
 محلى بال ، (٤ : ٢٤٢ / ١٢) .
 ١٢ : ٨٠ النديم ١٤٠ وكناه أبا كبير ، (٤ : ٢٤٤ / ٤) .
 ٦ : ٨١ الباغ الحديقة بالفارسية والنسخ الأخرى من تغيير النسخ ،
 (٤ : ٢٤٥ / ١٢) .
 ١١ : ٨١ الصواب : سوى السحر كما في اليتيمة والفوات .
 ١٣ : ٨١ من ولد زيد الخ بن السبي في الشافعية ٢ : ٢١٨ ولم يثبت
 ذلك اه والظاهر أنه منسوب إلى جدّه الخطّاب وبخط الصاغاني في مقدمة
 عبايه نسخة الدار (لغة ١٤١) في نسبه سمّد بن محمد بن إبراهيم بن الخطّاب بن
 طهمان بن عبد الرحمن بن أنبؤي بن هزار بنده كانه عجمي الأصل

وكذا سماه سَحمداً ابنُ خير ١٩٠ و ٢٠١ والوفيات رقم ١٩٣ ج ١ : ١٦٦
والشذرات سنة ٣٨٨ هـ والخزانة ١ : ٢٨٢ والشافعية والبغية ٢٣٩ والمنظم
وسماه أحمد السمعاني ٢٠٢ ب وتذكرة الذهبي ٣ : ٢٠٩ قال ووهم الثعالي
في اليتيمة حيث سماه حمدا قلت وسيأتي لياقوت أن الثعالي سماه أحمد كما
في طبعة دمشق ٤ : ٢٣١ وعنه الشافعية والجليّة ماسيأتي غير أن الذهبي
لم يقف عليها ، (٤ : ٢٤٦ / ٩) .

٨٢ : ٩ الصواب : وكانا 'معاصريه .

٨٣ : ٧ الصواب : لابن 'خزعة ، (٤ : ٢٥٣ / ٤) .

٨٤ : ٧ الصواب : الريحاني إذناً ، (٤ : ٢٥٥ / ٣) .

٨٤ : ١١ الصواب : زَهْتَه الريح ، (٤ : ٢٥٥ / ٨) .

٨٥ : ٣ الصواب : اعتماد ذوي الفضل .

(يتبع)

عبد العزيز المبحني



ابن الرومي

شاعر لم ينصفه التاريخ

لم أجد في تاريخ الأدب العربي ولا فيما اطلعت عليه من تاريخ آداب الأمم الأخرى شاعراً اصطلحت عليه الأيام ، وظلمته الأحداث ، كهذا الشاعر الذي اجتمعت الآراء الأدبية المنصفة على أنه من أكبر شعراء العرب ، بل على أنه من أعظم شعراء الدنيا .

كان في حياته مضرب المثل في الفقر وسوء الطالع واضطراب الأعصاب وثورة النفس حتى لم يكن يستطيع تحمل النسمة الفاترة أو الكلمة العابرة ، فهو متوتر النفس دائماً ، يشور كالأطفال ، وتغلي عواطفه غلياناً شديداً يؤرق جفنه ويمدب ضميره ، حتى يقول من الشعر ما يخفف من ألمه ، فتثور الدنيا عليه ويأتمر به الناس ممن أصابهم هذا الشعر الجارح ، فيصبح ثانية غرضاً للأذى ورميةً للسهام السمومة من أعداء لا يرحمون ومنافسين لا يهدأون .

تلك كانت حياة هذا الشاعر العجيب الذي ملأ الدنيا شعراً وشعوراً ، وخلّف لنا من التراث الفني ما لا يقوم بمثله عدد كبير من الشعراء .

لقد أثار الظلم من جميع النواحي فلم يستطع الدفاع ، وغزاه الإجحاف من كل فج حتى ضاع صوابه وهارت أعصابه ، وأنسى لقريحته الفياضة أن تقوم بكل هذا العبء ، وهل يستطيع مقول واحد مقاومة هذا السيل من الناس وكلهم يجب أن يؤذيه إما تشفياً وإما تسلياً ، والرجل الشاعر

الفنان ، المرهف الحسّ ، حائر بين هذه المصائب المتدافعة يحاول أن يرد الأذى عنه فما يقدر ، حتى أصابه أحد هذه السهام « بنحشكنانة » (١) مسمومة فارق فيها الحياة فأراح واستراح .

ولعلك تعجب أشد العجب حين ترى هذا التناقض التاريخي في النظر إلى هذا الشاعر الكبير ، بل يأخذك الاستغراب إذ تعلم أن القدماء شغلوا بهذا الشاعر حتى ملأ عليهم الوقت والتفكير ، ولكن هؤلاء القدماء أنفسهم ، أهملوا ابن الرومي إهمالاً لا مبرر له فلم يكتبوا تاريخه ، ولم يدونوا أحداث حياته ، ولم يتعرضوا لسيرته إلا في روايات قليلة لا غنيان فيها ولا فائدة ، ومع هذا فان الشاعر في رأي الكثيرين من مؤرخي أدب ذلك العصر وما تلاه من العصور لم يكن فكرة ولا مجهولاً ، بل كان ذا شهرة مستفيضة ، يروي الناس شعره ويستشهد به النقاد والأدباء بل لقد ذكر صاحب العمد أنه ، أي الشاعر (كان في من غطوا على الشعراء بشهرتهم) .

أهل المؤرخون تاريخ هذا الشاعر عن قصد ونية ، وكانوا يضعون الكتاب يذكرون فيه كل الشعراء المعاصرين لابن الرومي ، حتى إذا مر ذكر الشاعر وجاء دوره ، ذكروا اسمه فقط أو نبذة صغيرة عنه ، ثم تجاوزوه إلى غيره بسرعة لا يترك فيها مما يترك قارى هذه الأيام في حيرة لا يخرج منها ، وشك لا يكشف له .

وهذا أبو الفرج الأصفهاني الذي وضع أكبر موسوعة أدبيه في عصره يذكر البحري ويترك ابن الرومي وهما معاصران ؛ وهذا ياقوت الحموي في معجم الأدباء لا يذكر ابن الرومي ولكنه يترجم للكثيرين من معاصري الشاعر وأساتذته وتلامذته وممدوحيه ومهجويه .

(١) الحشكنانة نوع من الفطير يشبه « البكانو » اليوم ، والكلمة فارسية الأصل .

كل ما ذكره أولئك المؤرخون الأعلام عن ابن الرومي أنه : (ولد يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة ٢٢١ بينداد في الموضع المعروف بالعقبة ودرب الختلية في دار يازاء قصر عيسى بن جعفر ابن المنصور) ، وهذا ما نقلناه عن ابن خلكان ، وما كتبه غير هذا المؤرخ عن ابن الرومي ليس أكثر تفصيلاً ولا أوفر مادةً وعلماً .

ولعل من أكثر الكتاب في عصرنا الحديث اهتماماً بموضوع ابن الرومي المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وقد شاركه في إكبار الشاعر ، المازني وعبد الرحمن شكري ، إلا أن العقاد كان أكثرهم اهتماماً وأبعدهم أثراً في دراسة هذا الشاعر وإحياء ذكره وتعريفه إلى القراء من أبناء الجيل الجديد . ولقد ركّز العقاد دراسته لشعر ابن الرومي على نقطتين : أولاً أن الرجل لم يُنصف في تاريخ الأدب العربي ولم يُعط محله الذي يستحقه ، وثانياً أن تفرّد ابن الرومي في طريقة شعرية خاصة ، وامتيازه من غيره من الشعراء العرب ؛ إنما يرجعان إلى أصله الرومي ، هذا الأصل الآري الذي يترك أثراً في سلالاته غير الأثر الذي نعرفه عند السلالات العربية السامية .

أما النقطة الأولى فالعقاد يتردد في تقرير رأيه فيها ثم يخرج من هذا التردد بفكرة جديدة غير واضحة ولا مستقرة ، فهو يقول ما معناه أن ابن الرومي لم يكن خاملاً في زمانه أو بعد زمانه ، ويحتج لرأيه هذا بأن ديوان الشاعر قد حُفظ ولم يضيع منه شيء ؛ وهو يعتبر بقاء هذا الديوان وعدم ضياعه دليلاً على شهرته واهتمام الناس به وعرفانهم لقدره معرفة تامة . ولكن ضياع الدواوين الشعرية العربية لم يكن إلا نتيجة للنكبات التي أصابت المكتبة العربية خلال الفزوات التتارية من هولاكو وجنكيز وتيمورلنك ، وقد يكون حظ ديوان ابن الرومي أعظم من حظ صاحبه

م (٧)

فسلم من هذه النكبات كما سلم ديوان المتنبي والبحري وأبي تمام وغيرهم كثير ، وليس هذا الضياع دليلاً على إهمال شاعر كبشار أو دعبل وإن ضاع ديوانها . وكذلك فإن ذكر هذا الشاعر في كثير من الكتب ، وحفظ مختاراته ، لا يمكن أن يُعد دليلاً على اهتمام الناس به ، لأن حفظ المختارات عمل يتناول حتى الشعراء المهملين حقاً ، أو الشعراء الذين تنحط مرتبتهم الفنية انحطاطاً كبيراً عن مرتبة ابن الرومي وأمثاله من الشعراء الأفاضل .

والذي أعتقد أنه من أهم أسباب إهمال هذا الشاعر ما ورد في ديوانه من إقذاع وأدب مكشوف تجنبه الناس من الأدباء نتيجة ضغط ديني أو أخلاقي ، ونحن حتى في عصرنا هذا نجد من الصعب العسير أن يتعرض الأدباء لشرح الألفاظ النائية الصريحة التي لا تستطيع الكثرة الكاثرة من الناس احتمال قراءتها أو روايتها مكتوبة أو مطبوعة ، ولسنا بسبيل مناقشة هذا الرأي ، ولكن الواقع هو أن رأي غالبية الناس ما زال مستقراً على أن مثل هذه الألفاظ الصريحة لا يجوز نشرها على الناس عامه ، وإن جاز أن يطلع عليها أولو الاختصاص في سبيل هدف أدبي آخر .

إن هذه الألفاظ (المكشوفة) تعتبر في حد ذاتها خروجاً على المألوف وتحدياً لما هو معروف بين الناس من قواعد واصطلاحات خلقية واجتماعية ، وقد رأينا ما وقع لكتاب طه حسين (الشعر الجاهلي) ، وكتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) فهذا التفكير الجديد لم يجد فيه حتى المثقفون إلا خروجاً على التقاليد والأعراف والعادات ، ثم من ناحية الألفاظ النائية نذكر كتاب (المختار من شعر بشار) للخالدين ، فقد طبع هذا الكتاب مرة منذ سنين ثم أعيدت طبعته منقحة بعد أن حُذف منها كل ما يشير إلى الصراحة والتبذل والجرح ، وكذلك كتاب (أخبار أبي نواس) الذي طبع منه الجزء الأول ثم فقد ، ولم يُعَد طبعه حتى الآن .

أما ما زراه من التسامح في طباعة بعض الكتب الصريحة كالآغاني وبتيمة الدهر فهو لا يقوم نقضاً لرأينا في أن هذه الألفاظ كانت وتكون دائماً سبباً من أسباب عدم الاهتمام بالشاعر أو الكاتب ، وانصراف الناس عنها تجنباً لسخط الطبقة المحافظة وغيظها .

يضاف إلى ما أسلفنا أن (الحنق الشخصي) الذي أشار إليه الأستاذ العقاد والذي عزاه إلى أبي الفرج الأصفهاني واعتبره سبباً من أسباب عدم إدراج الشاعر في كتابه ، إن هذا الحنق لا يصح اعتباره سبباً من أسباب الإهمال ، وإلا فكيف نفسير إهمال بقية المؤرخين لهذا الشاعر؟ وهل يمكن أن نتصور أن هنالك حقاً عاماً على هذا الشاعر؟ قد يمكن ذلك إذا رجعنا إلى الفكرة التي سبق شرحها وهي أن (بذاءة) الشاعر قد حجبت عنه أقلام المؤرخين حتى تجنبوا الخوض في ذكره والإتيان على شرح حياته وشعره . إذا كان هناك إهمال فليس له سبب زاه غير هذه الألفاظ التي جاءت على لسان الشاعر نتيجة لثوراته واضطراب أعصابه وهومسه ؛ ولقد وصلت به الحال إلى تشاؤم أبعد عن الناس ، وجعله في عزلة عن كل معارفه وأصحابه ، حتى تسلط الأولاد عليه فراحوا يداعبونه مداعبة خشنة قاسية كانت تثير فيه الغضب الكاسح والسباب الجارح ، فانصرف الناس عن مزايه الفنية ، ولم يروا عنده إلا هذه الشتائم المتطرفة التي يندى لها الجبين . وربما جاز لنا أن نخالف هذا الرأي كلية فنقول : إن هنالك مؤرخين تعرضوا لذكر ابن الرومي دراسةً وتفصيلاً ، ولكن كتبهم ذهبت في النكبات المتعاقبة ؛ وقد قيل إن ما بقي من الكتب العربية لا يحسب شيئاً بالقياس إلى ما ذهب منها ؛ فإذا صدقنا هذا الرأي أصبح من السهل لدينا أن ننفي عن تاريخ ابن الرومي الإهمال كله لنقول بأن حظه السيء قد أزال من عالم الأدب الكتب التي تعرضت لذكره وعثيت بأمره .

والنقطة الثانية التي شغلت العقاد في دراسته لشعر ابن الرومي هي هذه (الرومية) التي جعلها مصدراً لنبوغ الشاعر في «التصوير» و«التجسيد» للمرئيات التي كانت تقع عليها عينه ؛ ولكن هذه «الرومية» ليست في نظرنا إلا «نظرية» ما تزال محتاجة إلى «الإثبات» قبل أن تصبح حقيقة ملموسة مقررّة ؛ ولقد شارك العقاد في هذا الرأي كثيرون من مؤرخي الأدب العربي من مثل سليمان البستاني فوصل ما بين شاعرنا وهوميروس بسبب من القرابة الفنية والتماثل في الأسلوب والمعاني والتشبيهات ، ورأى بطرس البستاني أيضاً هذا الرأي في كتابه «أدباء العرب» ، فعزا عبقرية ابن الرومي إلى أصله «الأعجمي» وهو يشير إلى أصله اليوناني ، وخالف العقاد بعض الأدباء أيضاً من مثل الأستاذ أنيس المقدسي والدكتور عمر فروخ ؛ ومعنى هذا أن هذه الفكرة (الرومية) قد أوجدت خلافاً أدبياً وتقاشاً علمياً حول مسألة لا يمكن البت بها ، ولا تقرير شيء فيها .

فابن الرومي كان أبوه يونانياً ، وهذا ما أثبتته جميع المؤرخين ؛ ولكنه من جهة ثانية يرجع إلى أصل فارسي من جهة أمه ؛ وما نشك نحن ولا علماء الوراثة في أن الأب والأم يشتركان في توريث الابن خصائصها ، بل ربما كان نصيب الأم في الوراثة أقوى وأشد ، إذا نظرنا إلى التجارب والمشاهدات ، فكيف قصرنا أثر هذه الوراثة عند ابن الرومي على أبيه ، وأهملنا ذكر أمه الفارسية ؟ هذا سؤال يتبادر إلى الذهن لاهلة الأولى ، لأن العقاد والقائلين برأيه يحددون نسب الشاعر فيجملونه يونانياً ويقولون إن الأثر التصويري الذي انتقل إليه جاء من اليونان أهل أبيه ؛ وكان على أصحاب هذا الرأي أن يلتفتوا إلى أصله من جهة أمه فلعل للفرس نصيباً في هذا الشاعر الذي اختلف الناس في تحليل طريقته الشعرية .

إن الأسباب التي دعت إلى تفرد ابن الرومي في صفات لا تشبه صفات الشعراء الآخرين في عصره أو في العصور الأخرى يمكن إعادتها إلى ثلاثة أمور أو أربعة :

أولها : أن ابن الرومي ، رغم نبوغه الفني كان مريضاً ، يعتمد عن الناس ، والناس يعتمدون عنه مما جعل الاهتمام منحصرأ في شعره فقط فحفظ بعض هذا الشعر واختير للمناسبات والاستشهادات وأعجب الناس به رغم كرههم لشخص ناظمه ومنشئه .

وثانيها : أن البذاءة التي انتظمت الجزء الكبير من هذا الشعر حجبت عن الديوان الرائع كثيراً من العيون التي يجب أصحابها المحافظة على الأخلاق والاصطلاح العام ويأنفون من قراءة الأدب المكشوف والكلام على عورات الناس وعيوبهم .

وثالثها : أن ابن الرومي هجا شخصيات كثيرة لها أثرها ووزنها في عالم تلك الأيام ، فقد تناول في هجائه عدداً من الوزراء والكتاب والقواد والأغنياء والوجهاء ، وهؤلاء كانوا مرجعاً للشعراء والأدباء ، كما كانوا مصدراً لرزقهم ، ومورداً لعيشهم ، لذلك اضطر أولئك إلى تجنب الحديث عن ابن الرومي مداراةً لأصحاب النفوذ وتجنباً لغضب من ييدهم الحل والعقد .

يضاف إلى الأسباب التي مرت سبب رابع هو عندي أهمها جميعاً ، وأعني به هذا التعقيد الذي يرين على شعر ابن الرومي ، وهذا التوليد في المعاني الذي يجعل هذه المعاني متراكبة متشابكة يتعب قارئها ويجد في فك رموزها وطلاسمها عنقاً كبيراً ، فشعر ابن الرومي صعب على الحفظ ، لأن ابن الرومي من شعراء المعاني لا شعراء الديباجة والأسلوب ؛ وشعراء الأسلوب الرائع والديباجة السهلة هم أكثر الشعراء قراءاً وحفاظاً ، فأتت تحفظ شعر شوقي والبحري في يسر وسهولة ، ولكنك تجد شيئاً من الصعوبة

حين تحفظ شعر أبي العلاء وأبي تمام ، لأن الكلمة عند شوقي تستدعي الكلمة التي بعدها للقرابة القريبة بينها ، ولأن شوقي والبحري يههما قبل كل شيء الموسيقى والتناسق والانسجام في النغمة بين ألفاظ البيت الواحد ، ولو أدنى هذا القصد إلى السطحية أحياناً ؛ أما أبو تمام مثلاً فاهتمامه منصباً على إيجاد المعاني الجديدة والصور الطريفة فهو مشغول الذهن بهذه الناحية ، منصرف عن اللفظ إلى الفكرة ، وهو يضع الكلمة في البيت الواحد كيفما اتفق ، بشرطة أن تؤدي المعنى الذي يرمي إليه ، لذلك فإن الكثير من ألفاظه يخرج نائياً على السمع ناشراً عن الأذن لفقدان النغم بين الكلمات المتجاورة والألفاظ المتقاربة . وابن الرومي من شعراء الفكرة والصورة - أما الموسيقى عنده فتأتي بعد هذا كله ، ولهذا فإن حفظ شعره كان صعباً على الحفاظ ورواد الأدب وأصحاب الميل الفني ، ولهذا أيضاً كان شعره أبعد عن الاهتمام به من شعر زميله ومعاصره البحري ؛ فاذا قدرت أيضاً هذا الشرح والتطوير والتمقيد الذي تراه في شعر الشاعر استطعت فهم سبب هام من أسباب زهد الناس في دراسة شعر ابن الرومي وشرحه .

وخلاصة البحث أن الناقد في هذا الزمن ، وبعد أن مر على ابن الرومي أكثر من عشرة قرون ، يجد صعوبة بالغة في تقرير حقيقة تتعلق بشخصه وأدبه ؛ ومن الخير للأديب وللأدب أن لا يرسل الناقد آراءه إرسالاً ، وأن لا يجعل منها أحكاماً لا تقبل المناقشة ، فإن طبيعة الرأي الأدبي تجعله ليناً قابلاً للأخذ والرد ، وإن كل رأي أدبي معرض للخطأ مادام هذا الرأي مبنياً على التخمين والتقدير .

أحمد الجندري



مدرسة سالرنو الطبية

- ٣ -

التخدير فن عربي انتقل إلى مدرسة سالرنو

للعرب على علم الطب فضل كبير في غاية الأهمية وهو استخدام المرقد (المخدر) العام في العمليات الجراحية (١) .

وكم كان التخدير العربي فريداً في نوعه صادقاً في مفعوله رحيماً بمن يتناوله ؛ وهو يختلف كل الاختلاف عن المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان والرومان يجبرون مرضاهم على تناولها كما أرادوا تخفيف آلامهم . وينسب بعضهم هذا الكشف العلمي إلى طبيب إيطالي أولاً وإلى بعض الاسكندنافيين ثانياً ، في حين أن الحقيقة تقول والتأريخ يشهد أن فن استعمال الاسفنجية المخدرة فن عربي لم يعرف قبلهم (٢) .

كانت توضع الاسفنجية المخدرة في عصير من الحشيش والأفيون والزؤان والبنج (هيوسيوموس) ، ثم تجفف في الشمس وتحفظ وتبلل الاسفنجية قبيل استعمالها للتخدير (٣) ، ثم توضع فوق الأنف والفم فتمتص أنسجة المريض المخاطية المواد المخدرة فيركن المريض إلى نوم عميق يقيه أوجاع العملية الجراحية .

(١) راجع حاضرم العالم الاسلامي ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) راجع شمس العرب تسطع على الغرب (زيرد هونكه) ص ٢٧٩ وص ٢٨٠ .

(٣) راجع مقدمة في تأريخ الطب العربي للدكتور التجاني الماضي ص ١٤٠ .

وقد ورد ذكر الاسفنجة المنومة في المصادر الأوربية في القرن التاسع وما بعده (١) ؛ وكان يصحب استعمال الاسفنجة بعض الأحيان شرب مزيج أساسه [(المندرغورة) (٢)] ، ويحتوي كذلك على الأفيون وعصير الشوكران والتوت .
وأما التخدير الموضعي فكان يستعمل عليه بضمادة تنفّس في محلول شبيه بالمزيج المخدر الذي ذكرناه والذي يؤخذ بطريق الفم فتوضع الضمادة على المكان المراد تخديره موضعياً . وكان المريض يوقظ بتشميمه عصير الشمر .

لقد دخل فن التخدير أوربة بطرق كثيرة مختلفة منها (مدرسة سالرنو) ؛ وظل معمولاً به حتى القرن الثامن عشر حين كشف عن التخدير بالاستنشاق عام ١٨٤٤ ، فاختفى التخدير الأول وغمره النسيان ؛ أما نحن فما علينا إلا أن نعطي كل ذي حق حقه فنرجع فضل اكتشاف التخدير العام (بالاسفنجة) بطريق الفم والأنف إلى العرب « والفضل للمتقدم » .

التشريع في سالرنو :

كان تشريع الجثث محرماً في أوربة بأسرها وفي عام ١٢٣٨ أمر فردريك الثاني (الامبراطور) بأن تشرح جثة مرة كل خمس سنوات في مدرسة سالرنو ، وظل تشريع الجثث يجري بانتظام في إيطاليا بعد عام ١٢٧٥ م (٣) .
وفي عام ١٢٨٦ فتح طبيب في كرمونا جثة ليدرس عليها سبب وباء انتشر في ذلك الوقت فكان هذا أول تشريع لجثة بعد الموت لمعرفة سبب الوفاة ؛ وقد رخص في سالرنو بتشريع الموتى من أسباب جنائية في البداية ، ثم سمح بتشريع جثث المحكوم عليهم بالإعدام بين الحين والحين وعلى رؤوس الأشهاد .

- (١) راجع قصة الحضارة (ول ديورانت) ص ١٩٥ الجزء السادس من المجلد الرابع .
- (٢) المندرغورة هي البـَرْوُح ويسمى الآن لـُحاح ، وهو نبات عشبي معمر سام طي من الفصيلة الباذنجانية (انظر Mandragore في معجم الألفاظ الزراعية) .
- (٣) راجع كتاب قصة الحضارة . الجزء السادس . المجلد الرابع الصفحة ١٩٣ .

إن الكتاب الأول في علم التشريح لمدرسة سالرنو المسمى تشريح الخنزير^(١) Anatomia Porci والمنسوب على غير أساس أكيد إلى من يدعى كوفوني Anatomia cophoni هو كتاب يرجع بلا شك إلى السنوات الأولى من القرن الثاني عشر م . وهو يفتح التشريح التجريبي الجديد الذي أجري على جسم الحيوان حقاً (وهو الخنزير في هذه الحالة) ، ومن ثم يسلك طريقاً لم يسلكه العرب من قبل . ولكن الآثار العميقة للعرب توجد هنا في دائرة المصطلحات . وفي الكتاب الثاني في التشريح^(٢) لمدرسة سالرنو أيضاً وهو العرض التشريحي لجسم الإنسان الذي صنف بعد ذلك لا نجد هذه الآثار العربية فحسب بل نجد أيضاً قطعاً من كتاب Pantgeni لقسطنطين .

والكتاب الثالث في التشريح لمدرسة سالرنو وهو كتاب Magister Marcns المتوفى عام (١٢١٤ م) والذي صنف مع ذلك كتباً كثيرة أصيلة هو كتاب قسطنطيني أيضاً أي أنه كان عريباً في مادته الطبية مع إظهار استقلال أعظم من ذي قبل .

وقد نشرت نصوص كتب التشريح لمدرسة سالرنو (في جانب منها) في طبعة نقدية أخرجها George W. corner بعنوان : Anatomical Textes of the carrier Middles—ages Washington 1927 .

الترجمة والتراجمة في سالرنو

نظرة إصحائية في الترجمة من العربية إلى اللاتينية في القرون الوسطى :

عندما وصل الطب والعلم الإسلاميين محجة الوقوف حوالى عام (١١٠٠ م) أخذوا ينتقلان معاً إلى أوربة بتراجم لاتينية . لقد وصف شارلس سنكر

- (١) راجع كتاب قصة الطب تأليف (جوزيف جارلند) ترجمة سعيد عبده ص ٧٣ .
- (٢) راجع كتاب العلوم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٤ و ٤٣٥ .

Charles singer بدقة الطب الرهباني في خلال ذلك العصر في كتابه (موجز تاريخ الطب) قال :

« لقد قضى القضاء المبرم على علمي التشريح والفسيولوجيا ، وتحول التشخيص الطبي إلى جس باليد سخيف جداً - إن وجد - وصار علم النبات عبارة عن قائمة أدوية ، وتسلمات أعمال السحر والشعوذة ، وأسف الطب إلى مجموعة من الوصفات تتأرجح بين الدجل والرقى ، ذلك لأن الجدول العلمي كان دم حياته قد نضب إلى آخر قطرة ؛ وبقيت زاوية واحدة في أوربة حافظة لتراث الطب الاغريقي وهي (سالرنو) القريبة من نابولي ، بهذه المدينة مرّ المغامر التونسي المنتصر (قسطنطين الإفريقي) قبل أن يترهب في الدير الشهير المسمى بدير (مونت كامينو) في كامبانيا بسنوات ؛ وفيها شرع بالترجمة حوالى عام (١٠٧٠ م) إلى أن وافاه الأجل ^(١) سنة ١٠٨٧ م ، وسنفرد له بحثاً خاصاً يلي بحثنا هذا .

لقد سقطت طليطلة في عام ١٠٨٥ م وهي أعظم مركز للثقافة الإسلامية في الغرب بأيدي الإسبان المسيحيين ، وصار تلاميذ اللاتين يفدون إلى العاصمة الجديدة ليظهروا إعجابهم بما يرون من بقايا حضارة العرب ، ولكي يدرسوا الفنون العربية Artes arabum وكان الوسط الناقل للدراسة ثم الترجمة بعدئذ هم اليهود المتقلون المتوطنون والاسبان الذين كانوا خاضعين للحكم الإسلامي (المستعربة) (Mozarabe) ولقد رسم شارلس ودروثيا سنكر في مجلد آخر من هذه السلسلة صورة حية لهذا التعاون الذي يقدم لنا فكرة واضحة عن الامتزاج العلمي العجيب .

(١) راجع كتاب تراث الاسلام ج ١ ص ٢١١ و ص ٢١٢ و ص ٢١٣ ،

وكان أول شخصية علمية أوروبية جاءت إلى طليطلة هي أديلارد الباقي الرياضي الانجليزي والفيلسوف ، ودانيال مورلي (١) وروجر أوف هيرفورد واسكندر نكوام ، وكانت رسالة أديلارد الباقي في المسائل الطبيعية أول مؤلف علمي أنتجته أوروبية الغربية في القرون الوسطى .

وكان يوجد يهودي إسباني متنعراً اسمه بطرس الفونسي Petrus alphonسي ذهب إلى انكلترا وصار طبيباً لهزري الأول ونشر علوم المسلمين هناك لأول مرة .

إن الحياة العلمية التي انتعشت في طليطلة خلال القرن الثاني عشر تذكرنا من طرق شتى بفترة الترجمة في بغداد التي حدثت قبلها بثلاثة قرون . فمثلاً أنشأ الخليفة المأمون (بيت الحكمة) كذلك أسس ريموند رئيس الأساقفة مدرسة للترجمة بإشراف رئيس الشمامسة (الارخدياقون) (دومنيكو كنديسالفي) وقد دام ازدهار هذه المدرسة في طليطلة حتى القرن الثالث عشر . إن الدور الذي لعبه العلماء المسيحيون والصائبة والمسلمون بلغات عدة في بغداد لعبه في طليطلة اليهود الذين يعرفون اللغة العربية والعبرية وأحياناً اللاتينية . فقد ترجم اليهودي المتنعري ابن داود الإشبيلي Avendeath كتباً كثيرة جداً في الرياضة والفلك والتنجيم من العربية إلى اللاتينية مثلاً نقل ثابت بن قرة الصابي كتب اليونان إلى العربية . وعمل جيرار الكريوني للشعوب اللاتينية كما عمل حنين بن إسحق للعرب في ترجمة مؤلفات الفلاسفة والرياضيين والأطباء والطبيعيين .

ولد جيرار في كرمونا من أعمال إيطاليا (سنة ١١١٤ م) ورحل إلى طليطلة للبحث عن كتاب المجسطي لبطليموس ثم ترجمه إلى اللاتينية سنة ١١٧٠ م .

(١) راجع اثر العرب في الحضارة الاوربية لمباسي القفاد ص ٤١ و ص ٤٢ .

وما عثم أن أصبح أعظم وأشهر مترجمي العربية ؛ وقد ساعده في ذلك مواطنان مسيحيان ومواطن يهودي واحد . وقد أصدر في العشرين سنة التي سبقت وفاته عام (١١٨٧ م) حوالى ثمانين مترجماً بعضها نفيس لدرجة لا تقدر ففتح بذلك أبواب الكنوز الثقافية اليونانية والعربية على مصارعها فضلاً عن أنه أضحى مثلاً لأتباعه الذين ساروا على نهجه واحتذوه فكان الأب الحقيقي للاستعراب في أوربة .

إننا مدينون لجيرار في حقل الطب بترجمات لمؤلفات أبقراط وجالينوس وجميع مترجمات وآثار الكندي تقريباً وقانون ابن سينا العظيم . وكتاب الجراحة الشهير لأبي القاسم الزهراوي .

لقد ترجم في علم الطبيعة من العربية عدة مؤلفات لأرسطو يدخل في عدادها كتاب الجواهر المنسوب إلى هذا الفيلسوف العظيم ، فضلاً عن مؤلفات الفارابي وإسحق الإسرائيلي وثابت بن قرة . كذلك أدى (مرقس اللاهوتي) الطليطي الذي ربما كان الند الأصغر لجيرار خدمة كبيرة فترجم رسالة أبقراط (في الأهوية والمياه والبلدان) وكثيراً من مؤلفات جالينوس عن مترجمات حنين وحبش العربية .

وترجم روفينو Rufino وهو باحث من مدينة (ألسندريا) في إيطاليا - وإن عاش في مرسيه باسبانيا - ترجم كتاب حنين الشهير (مسائل حنين) بعنوان (مسائل طبية) . وعمد إبراهيم الطرسوسي اليهودي إلى مساعدة سمان الجنوي على ترجمة كتاب (التصريف) لأبي القاسم الزهراوي باسم Liber Servitoris ، وكتاب ابن سراييون في الأدوية المفردة ؛ وترجمت أقسام من آثار أبي القاسم بقلم المدعو بركنز البلنسي Beregnar وارنالد من فيلانوا الذي ترجم كتاب الأدوية القلبية لابن سينا .

سقطت صقلية نهائياً بيد النورمان عام (١٠٩١ م) بعد أن ظلت في قبضة الإسلام زهاء مئة وثلاثين سنة ، وبقيت المركز الحبيب لانتشار العلوم العربية وكانت اللغات التي يتكلم بها سكانها بلهجاتها الدارجة اليونانية والعربية واللاتينية ؛ وكان المثقفون فيها يتقنون الفصحى من هذه اللغات الثلاث . وكان ملوكها من روجر الأول حتى فردريك الثاني ومانفرد وشارل الأول من أسرة أنجو يستقدمون العلماء إلى بالرمو منها كان دينهم ولسانهم . فشرع العلماء في بالرمو كما في طليطلة ينقلون من العربية واللاتينية واليونانية . وكانت أغلب هذه التراجم في الرياضة والفلك . هذا ولم تظهر في صقلية مترجمات طبية مهمة خلال القرن الثاني عشر ؛ ولكن نجد في القرن التالي أيام حكم شارل الأول (١٢٦٦ - ١٢٨٥ م) المترجم اليهودي (فرجوت الجرجنتي) .

لقد ظهر في بالرمو يهودي آخر اسمه (موسى البالرمي) درب على الترجمة اللاتينية بأمر من الملك شارل . ولا نعرف من آثاره إلا ترجمته لكتاب مشكوك في نسبته لابقراط في أمراض الخيل . وترجم ميخائيل سكوت الاسكتلندي أحد ندماء الملك فردريك الثاني جميع كتب أرسطو في علمي الأحياء والحيوان من العربية والعبرية إلى اللاتينية فخص منها بالذكر (مختصر علم الحيوان) مع شروح ابن سينا عليه وقدمه للامبراطور عام ١٢٣٢ م .

أما أثر الحروب الصليبية في نقل علوم المسلمين من القرب فانه كان من الضالة بدرجة يقف أمامها المرء مشدوهاً .

والكتاب المهم الذي ندين به لهذا الحدث التاريخي هو الكتاب الكامل أو (كامل الصناعة) لملي بن العباس الجوسي ترجمه (اسطيفان البيزي) وهو من سكان ييزا نال ثقافته في سالرنو وصقلية ثم رحل إلى إنطاكية وفيها ترجمه عام ١١٢٧ م باسم Liber Regales وتعرض فيه لنقد الترجمة التي عملها قسطنطين الإفريقي للكتاب نقداً مرأً كما منرى .

لقد أنجزت بعض المترجمات اللاتينية في القسم الشمالي من إيطاليا نذكر على سبيل المثال (برغنديو البيزي) الذي أكمل ترجمة عشرة كتب عن جالينوس عن اليونانية رأساً حوالى سنة ١١٨٠ . وترجم (اكيوريوس) Accurius كتاب جالينوس في قوى الأطعمة de Vibilus Alimentorum عن ترجمة جيش العربية له حوالى سنة ١٢٠٠ م .

وترجم (بانا كوزا اليهودي المنتصر) كتاب الكليات لابن رشد في بادوا سنة ١٢٥٥ م .

ونقل (بارفيسيوس) كتاب التيسير لابن زهر بمؤونة يعقوب اليهودي في البندقية سنة ١٢٨٠ م .

أما عن المترجمين الآخرين فلا نعرف شيئاً عن مواطنهم والزمان الذي عاشوا فيه (كداود هرمنيوس) David Herminus الذي ترجم كتاب علاج أمراض العين لعمار الموصلي .

حفل ذلك العصر كذلك بتراجم كثيرة لاتينية نجعل أسماء مترجميها منها ، رسائل لموسى بن ميمون وابن سينا وجابر والرازي وابن الهيثم ، ومما يجدر التنويه به أن أغلب الترجمات الكيماوية نجعل أسماء مترجميها .

سارت عملية الترجمة سيراً حثيثاً حتى القرن السادس عشر ، وإننا لنجد ذكر (أندريا الباكو البلوني) (توفي سنة ١٥٢٠) ضرورياً بوصفه أحد مشاهير مترجمي كتب ابن سينا (القانون Canon والنفس de Animia) وتقدمة المعرفة ؛ وترجم كذلك كتاب (السكنجين) لابن سينا (والكناش) لابن سيرايون وآثراً صغيرة لابن رشد ويوحنا بن سيرايون ومعجم الأطباء الذي كتبه ابن القفطي . وثم تراجم عديدة تعود إلى ما بعد ذلك التاريخ استخدمت بصورة واسعة في التدريس الجامعي على الأخص في فرنسا وشمالي إيطاليا .

وهكذا انتقلت مئات (١) من تراجم التراث العربي الاغريقي العلمي إلى تربة أوربة المجدبة ؛ وكانت النتيجة زخات من المطر الوابل أحييت تلك الأرض الموات . هذا وبعد القرن السادس عشر صار الطب والعلم وعلى الأخص في شمالي إيطاليا يعتمد عن العربية ليدنو أكثر فأكثر من الترجمة عن اليونانية مباشرة فحصل نزاع بين الاتجاهين العربي واليوناني ، واشتد الخصام بين أنصار الجهتين وإن لم يكن كبير فرق شتم بين الاثنين ، فالطب العربي استمدت بعض جذوره موادها العلمية من الطب اليوناني كما نعم ، وقد بوشر طبع جميع الكتب اليونانية والعربية (العلمية والطبية) بعد اختراع فن الطباعة وأعيد طبعها مراراً عديدة وبرغبة مستمرة .

قسطنطين الإفريقي

أشهر تراجمه سالرنو

تقول دائرة المعارف (٢) البريطانية عنه إنه مغامر اشتهر في الطب ، وكان نصرانياً عربي القومية ، ولد في قرطاجنة (تونس) عام ١٠٢٠ م وقيل إنه دزس الطب في حواضر العالم الإسلامي . وبالحقيقة فإن قصة حياته منذ ولادته حتى عام ١٠٧٠ غامضة ، فقد ورد في رواية أخرى ذكرتها أيضاً دائرة المعارف البريطانية أنه نشأ وترعرع في صقلية ، واستدلت على ذلك باتقانه اللغة العربية التي كانت سائدة في صقلية ، (بجانب اليونانية واللاتينية) حتى القرن الحادي عشر ولمعرفته معرفة حسنة لليونانية واللاتينية كذلك .

(١) راجع كتاب تراث الاسلام ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ .

(٢) راجع دائرة المعارف البريطانية ج ٣ ص ٣٠٤ .

لقد اشتهر قسطنطين بترجماته من العربية إلى اللاتينية تلك التي تمت بعد ١٠٢٠ ، حيث حط رحاله في سالرنو أولاً ثم التحق بدير للبندكتين في مونت كاسينو Monte Cassino ، وفي هدوء وسكينة ترجم معظم الكتب التي نسبت إليه ترجمتها ، والتي كانت السبب في شهرته التي لفت العالم آنذاك لفاً ؛ وقد وافاه الأجل عام ١٠٨٧ ، هذه خلاصة ما ورد عن قسطنطين في دائرة المعارف البريطانية ؛ أما المصادر الأخرى فتذكر قصة حياته بشيء من التفصيل أكثر وتنسب سيرته إلى الأسطورة وليس إلى التاريخ .

قالت المستشرقة زيفرد هونكه (١) في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب وأيدها في معظم ما سردته الدوميلي قالت : أبصر النور في عام ١٠٢٠ م طفل نجعل عنه الشيء الكثير ، أبصر النور في قرطاجنة (تونس) في نفس العام الذي ولد فيه (هيلديبران) Hildebrand وهو الذي تربع على عرش البابوية باسم غريغوريوس السابع Gregor VII ؛ أما الاسم الحقيقي لهذا الطفل فنحن نجعله ، ولكن قيل إنه دخل المسيحية فيما بعد وسمى نفسه قسطنطين .

نما هذا الطفل حتى أصبح فتىً يافعاً وأمضى نصف عمره يرحل إلى أرجاء الأرض ويطوف بحواضر العالم .. وقد عمل بالتجارة وتاجر بالعقاقير واحتك بالطب العربي احتكاكاً مباشراً وسمع من أساطينه أكثر من مرة ، وها هو قسطنطين يلتقي في بغداد أولاً وفي حلب وانطاكية ثانية بابن بطلان وقد دخل هذا في خدمة أمير شيزر وهو جد أسامة الأول .

وكان ابن رضوان في القاهرة رئيس الطبابة فيها ، وكان سائراً على خطى أسلافه في علم التداوي والشفاء .

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٩١ وما بعدها وراجع كذلك كتاب العلوم عند العرب للدوميلي ص ٤٢٨ وما بعدها .

وعندما بلغ قسطنطين الأربعين زار لأول مرة صقلية ، وكانت هذه الزيارة أول اتصال له بأرض الفرنجة ، واتصل بالقصر ، وكان هناك حديث طويل بينه وبين شقيق أمير سالرنو الذي كان طبيباً ... تحدثا خلاله عن أشياء كثيرة ، وتطرقا إلى موضوع الطب والعقاقير ، بل تناولا هذا الموضوع بالذات قبل أية موضوعات أخرى ، وأي عجب في هذا وصاحبنا كان تاجر أدوية له من التاجر تفكيره وحسه وطرقه ، وكان محدثه طبيباً له من الطبيب تفكيره وطموحه وفضوله ! وحدثه قسطنطين عما سمعه من معجزات الطب العربي وصاحبه منصت إليه مرهف السمع ، ووعد محدثه (بعد أن عرف بصيرته الفارق الكبير بين الطب الإفرنجي والطب العربي) بأن يزودهم في سفراته القادمة بكنوز من الطب العربي إضافةً إلى العقاقير .

وعاد قسطنطين إلى مصر ليدرس الطب تدفعه رغبة ملحة جامحة . وبعد سنين من الكفاح المتواصل والدرس والتحصيل عاد مرة ثانية إلى سالرنو وفي حوزته رزمة من الكتب ؛ وكانت سالرنو آنذاك في أيدي النورمنديين يحكمها الدوق روبرت جيسكارد Robert Guiskard .

وكان أول شيء قام به تعلمه للغة البلاد ومعارف علمائها ، ومن ثم أكب على العمل إكباباً كلياً يترجم المخطوطة تلو المخطوطة فتتأقلمها الأيدي باعجاب كبير .

كبر مقام قسطنطين ، وأصبح يشار إليه بالبنان ، واعتبر من أعظم العلماء الذين لم تر مثلهم سالرنو من قبل . لقد أراد قسطنطين أن يعتزل لينصرف إلى الترجمة بكلية فاعتكف في الدير البندكتي بمدينة مونت كاسينو وانهمك تماماً في ترجمة ما تبقى معه من نفيس الكتب إلى اللاتينية مكلاً وسع جهده الثغرات التي سببها غرق بعض المخطوطات التي جلبها معه ، عند قدومه إلى سالرنو ، كما تقول الرواية . وقد وافاه الأجل ١٠٨٧ بعد أن عاش

م (٨)

سنتين اثنتين من بعد موت البابا غريغوريوس السابع الذي أطلق عليه أحد أصحابه الشيطان القديس Heiliger Satanas .

كانت اللغة اللاتينية التي كتب بها قسطنطين ترجمته ركيكة يصفها مايرهوف (١) بأنها لاتينية بربرية ؛ وقد استخدم تلميذه أتو Atto (٢) للوثوق من صحة ترجماته من وجهة النظر العلمية . وقد ظل العلماء طويلاً يفترضون أن من كتب قسطنطين ما هو أصيل ، وليس هذا بصحيح ، ولكن لما ساعد على هذا الرأي بلا ريب أنه يقدم كثيراً من كتبه دون التصريح بأنه ترجمة ؛ والكشف عن الأصول العربية وحده هو الذي سمح بالوقوف على هذه الحقيقة ؛ فقد تعرّضت شهرة قسطنطين للخطر في اللحظة التي قرر فيها في انطاكية الطبيب اللومباردي اسطيفان Stephan البيزاوي (الذي أوردنا ذكره سابقاً في إيجاز) أن ينقل بعضاً من كنوز العرب في الطب لشعوب أوربة المسيحية . تقول في هذه اللحظة دخلت شهرة قسطنطين في منطقة الخطر .

ابتدأ (٣) اسطيفان عام ١١٢٧ بنقل كتاب « كامل الصناعة » المعروف بالكتاب « الملكي » لهالي « Hali » أي (علي بن العباس) إلى اللاتينية ، وما إن نقل بعض صفحات منه حتى انتابه العجب وشعر بأنه أمام أشياء يعرفها من قبل . ترى ألم يقرأها من قبل ، ألم يمض من عمره سنوات ثلاثاً في درس أعمال الأستاذ قسطنطين في سالرنو ؟ ألم يسهر الليالي في درس ما جاء فيها وهو ما يراه في الكتاب العربي كاملاً منسقاً ؟ .

(١) راجع تراث الاسلام الجزء الأول ، بحث الترجمة

(٢) راجع العلم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٢ .

(٣) راجع شمس العرب تطعم على العرب ص ٢٩٧ .

إذن ما نسبته قسطنطين لنفسه لم يكن من بنات أفكاره بل كان نقلاً عن عالم عربي ؛ وأيقن أنه أمام سارق كبير فشن هجوماً عنيفاً مقذعاً على مؤلف Liber Pantegni المزعوم .

وفي صقلية وجد المترجم دمتريوس Demetrius في كتاب قسطنطين عن البصريات De oculis كتاب حنين في أمراض العين ، ووجد في مخطوطة قسطنطين الهامة Viaticum كتاب زاد المسافرين لابن الجزار . ووجد في كتبه عن علم الحمية والبول والحمى ترجمات بتصرف لمخطوطات اسحق الاسرائيلي . وأما جراحة قسطنطين فهي في الواقع من صنع علي بن العباس ، وكيميائه من صنع الرازي . ولم يكن هناك إلا بضع مخطوطات لأبقراط وجالينوس لم يبعث بها ، وكان قد أخذ معه إلى إيطاليا ترجماتها العربية بقلم حنين ابن اسحق وابن اخته حيش بين الأسم دون أن يغير من أسماء مؤلفيها اليونانيين ، على عكس ما فعل تماماً بالمخطوطات العربية ، إذ لم يكن من يعرف أسماء مؤلفيها في أوربة فكان أن نسب كل مخطوط عربي إلى نفسه وتجاهل اسم مؤلفه ؛ فعل ذلك خوفاً من أن يقطف ثمار عمله سارق آخر غريب على حد قوله ، وهو في عمله هذا كاللص الداهية الذي ينادي أمسكوا السارق في حين أنه هو السارق بالذات .

وفي الحقيقة فإن هذه السرقات لم يكن لها أهمية إلا عند نفر قليل من المثقفين ، لذا ظل اسمه على تلك المخطوطات ، إذ لم يكن الناس آنذاك شديدي الحرس والمحافظة على حقوق التأليف ؛ وكان له منافسون في السرقة لهم مركزهم العلمي والديني في زمنه . ألم يسبقه رئيس أساقفة سالرنو الفانوس Alphanus إلى سرقة مخطوطة إغريقية ترجمها إلى اللاتينية ونسبها إلى نفسه ؟

ولكن مؤرخ الطب الفرنسي دارمبارغ Daremberg أبي إلا أن يقول كلمة شديدة اللهجة وعادلة في حق قسطنطين ، فقد وجه إليه انتقاداً مرأً لادعاً لسرقاته ، ولكنه شعر في قرارة نفسه أن قسطنطين هذا يستحق التكريم لفضله العظيم بنقل آثار العرب إلى أوربة وفي إيقاظ علم الطب الأوربي من سكونه الذي كان يشبه الموت فكان أن اقترح إقامة نصب تذكاري له على قمة الجبال المشرفة على سالرنو .

الكتب التي ترجمها قسطنطين^(١) : ألحنا سابقاً إلى الكتب التي ترجمها

قسطنطين ونضيف أنه ترجم قسماً كبيراً من الكتاب الملكي لعلي بن العباس ، وكتاب زاد المسافرين لابن الجزار ، وكتاب طب العيون لحنين بن اسحق ، وترجم كثيراً من كتب إسحق الإسرائيلي في البول والحميات والحمية عن الطعام والأدوية المفردة .

وترجم قسطنطين من العربية أيضاً كتباً كثيرة إغريقية الأصل كانت توجد نصوصها في العربية مثل كتابي Aphorismes و Prognosticon ، ومثل Mikrotechne و Megatechne وغير ذلك من شروح أبوقراط الكثيرة لجالينوس ، الخ .

وفي تاريخ بطرس دياكونوس Petrus Diaconus (المتوفى بعد سنة ١١٤٠) نجد كتابات قديمة عظيمة الدقة عن قسطنطين الإفريقي كما نجد قائمة للكتب التي صنفها .

(١) راجع العلم عند العرب للدوميلي ص ٤٣٢ .

نرمزة قسطنطين :

كان هناك رجلان ساعدا قسطنطين في ترجمته عن العربية إلى اللاتينية ، أولهما تلميذه الفتي العربي يحيى بن عقلة الذي أنقذه معامه من الفقر والعوز وقربه إلى نفسه فاعتنق المسيحية وسمى نفسه يوحنا أفلامسيوس Johannes Afflatus أو يوحنا الفاسي Johannes Saracenus وأصبح طبيباً شهيراً بعد وفاة معامه وعمل على إدارة ما خلفه له .

وثانيها تلميذه أتو Atto الذي أصبح فيما بعد طبيب الامبراطورة اغناس Agnes (١) الخصاص ، ونقل لها ترجمات أستاذه إلى الشعر الروماني . أما تلميذه الثالث بارتولماوس Bartolomaus فقد نقل إلى الألمانية الفصحى والألمانية العامية والداغركية كتابه Paractica الذي حمل مباشرة إلى الشعب في القرن الثالث عشر علم الشفاء العربي .

وفي عام ١٢٥٠ م ترددت أسماء عربية مع اسمي قسطنطين وبارتولماوس في خطب برتولد فون رجنبورغ التي كان يلقيها في أوربة ، ولم يكن كل هذا إلا قطرات من الماء تلمع في جو ربيعي عاصف ما لبثت أمطاره أن انهمرت فوق أرض أوربة المتحجرة ففسلتها من تحجر المعتقدات وبعثت فيها ربيعاً يانعاً مشمراً .

إذن فقد كان أثر هذا السيل العرم من تناج العرب عظيماً وبعيد المدى ؛ والواقع انه لم يكن هناك طبيب في سالرنو إلا وقد استقى علومه ومعارفه من مؤلفات العرب ، كما لم يكن هناك أي كتاب جديد في العلوم أو في الطب خاصة إلا وتأثير التفكير العربي واضح فيه .

(الموصل) الدكتور فيصل ديدوب

(١) شمس العرب نسطع على الغرب زيفرد هونكه ص ٢٩٩ .

التعريف والنقد

كتاب المعتمد في أصول الفقه

تأليف : أبي الحسين محمد بن علي بن الطيّب البصري المعتزلي
المتوفى ببغداد سنة ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م

اعتنى بهذيبه وتحقيقه محمد حميد الله ، بتعاون محمد بكر وحسن حنفي
الجزء الأول ، دمشق : ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م
والجزء الثاني ، دمشق : ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

لا يخفى أن المعتزلة طائفة كبرى من المسلمين ، ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية ، وهم نفاة القائلون بأن الله تعالى لا يعلم الأمور إلا بعد وقوعها . والذي يعمّ هذه الطائفة من الاعتقاد ، هو القول بأن الله تعالى قديم ، والقديم أحصّ وصف ذاته ، ونفّوا الصفات القديمة أصلاً ، فقالوا هو عالم بذاته ، قادر بذاته ، حي بذاته ، لا يعلم وقدرة وحياته هي صفات قديمة ومعان قائمة به ، واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل ، واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته ، واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار ، في دار القرار . ومن أمّن النظر وتدبر كلام أئمة السنة المشاهير في باب أسمائه تعالى وصفاته ، علّم اليقين أنهم كانوا أدقّ الناس نظراً ، وأعلمهم بصحيح المنقول ، وصريح المعقول ، وأن أقوالهم هي الموافقة لهما ، ولهذا تأتلف ولا تختلف ، وتتوافق ولا تتفارق .

الإسلام يجمع الفِرَق ويعمّها

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الإسلاميين :
 اختلف المسلمون بعد نبهم في أشياء ضلل فيها بعضهم بعضاً ، وتبرأ بعضهم
 من بعض ، إلا أن الإسلام يجمعهم فيجمعهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر
 الأحباب ، وقال ابن تيمية في كتابه المعقول والمنقول : ثم إنه ما من هؤلاء
 إلا من له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الرد
 على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة
 والدين ، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل
 وإنصاف (١) .

وقد ترجم ابن خلكان لأبي الحسين البصري المعتزلي مؤلف هذا الكتاب
 فقال : كان إمام وقته ، وله التصانيف الفائقة في أصول الفقه ، منها المعتمد ،
 وهو كتاب كبير ، ومنه أخذ غر الدين الرازي كتاب الحصول ، سكن
 بغداد وتوفي فيها (سنة ٤٣٦ هـ) .

والحق انه كتاب ضخم ضخم ، من أوسع كتب الأصول وأهمها ، فقد
 بلغت صفحاته في جزءيه ، ألفاً وخمسين صفحة ، عدا الفهارس المستقلة في
 آيات الاستشهاد الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وفهرس عام لمواضيع الكتاب
 والأعلام والأماكن ، ومهما تكرر اسم المصنف في الصفحات والأسطر
 يشار إليه ، أو يدل عليه ، فقاضي القضاة عبد الجبار المعتزلي مثلاً قد أشير
 إليه بالأرقام المتعددة بما يقرب من مائتي مرة !!

هذا وإن من القواعد القرآنية الآتي بعضها ، والمباني الكلية العامة
 التي اشتقت منها ، أخذ علماء الأصول قواعدهم ، وبني عليها الفقهاء أحكامهم ،

(١) من « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » ص ١١٦ .

فالقرآن الكريم في هذا الباب هو أصل الأصول ، ومصدر التشريع والتفريع ، والاستنباط والتخريج ، وقد أسند فيه الإفتاء والقضاء إلى منزله ، فقال سبحانه : « قل الله يفتيكم » « فإله يحكم بينهم » وقضت به سنة النبي عليه الصلاة والسلام في النوازل والأحكام ، وسار على هذين الأصلين الصدر الأول ، ومن تبعهم باحسان ، أخذاً واستدلالاً ، واجتهاداً وقياساً ، فتولدت الفروع من الأصول ، وتنوعت فيها المآخذ والمدارك ، ودونت المذاهب على تراخي العصور ، ورتب الفقه هذا الترتيب الذي زاه في مصنفاته ، ففي أول سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وهو أمر بالوفاء في كل عقد عقده المؤمن وارتبط به مع غيره ، ويدخل في هذا الباب العقد بالفعل ، كإعطاء المال لمن بيده تذاكر السفر في البواخر ، والمراكب البرية والجوية ، وقوله « وأوفوا بالعهد » فهو أمر بالوفاء بالعهود كلها ، وقال : « والموفون بهمهم إذا عاهدوا » فهذه الأدلة تثبت النظرية العامة في العقود ، ويدخل فيها جميع ما أورده الفقهاء في أبواب المعاملات التي عقدها في كتبهم ، وما مسكت عنه الشارع رحمة منه غير نسيان ولا إهمال .

ألا وإن الكتاب العزيز والسنة النبوية وافيان بالنصوص ، في العقود والعهود ، والشروط والواجبات والالتزامات ، وهي دالة على معانيها ومقاصدها ، بعموم ألفاظها لا بطريق الاجتهاد والاستحسان ، وقد ذكر الإمام ابن القيم طائفة منها في (أعلام الموقعين) هي في نفسها قواعد كلية ومبادئ عامة ، مشتملة على المصالح والمطالب الشرعية ، معاملة بعلمها وأسبابها .

رتب كتاب « المعتمد » أبوابه على قواعد الأصول ، وبين الحقيقة والمجاز ، ووصف الحقائق الشرعية والعرفية ، وبحث في الأوامر والنواهي ، وعقد أبواباً للعموم والخصوص ، والمجمل والمبين ، وتكلم في الأفعال ، وفي النامسح والمنسوخ ، وبه ختم الجزء الأول . وأما الجزء الثاني فقد بدأ

فصوله في الإجماع وكونه حجة بشروطه ، والأخبار المتواترة وغيرها ، وما يترجح به أحد الخبرين إذا تعارضا ، ثم الكلام في القياس والاجتهاد ، وفي الحظر والإباحة ، وأخيراً في المفتي والمستفتي ، وكتاب زيادات المعتمد ، وكتاب القياس الشرعي . وصوّر في نهاية الكتاب صفحات من نسخه الاستنبولية واليانية التي طبع عليها .

وأثبت الأستاذ المحقق محمد حميد الله في آخر الكتاب مقدمته التي بلغت أكثر من أربعين صفحة باللغة الفرنسية ، ذكر فيها أن هذا الكتاب قد امتاز بخاصتين ثنتين ، وهما كونه في أصول الفقه ، وكون مؤلفه من علماء المعتزلة ، وشرح هاتين الميزتين بنحو تسع صفحات ، ثم كتب فصلاً بعنوان : محلّ هذا المؤلف في تاريخ أصول الفقه ، وفصلاً آخر في صفات المؤلف وخصائصه ، وآخر في الشهادات العليا لهذا « المعتمد » الأصولي ، وشذرات بالعربية والفرنسية في أماكن النسخ الخطية من هذا الكتاب ، وتاريخ خطها ، أو وقفها ، وأسماء واقفيها أو مالكيها ، وهذا مثال من المکتوبات (ص ٣٦) : الحمد لله ، هذا من كتب الوقف منقولاً من ظفار ، بأمر مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله ، حفظه الله ، وأحيا به معالم الدين ، وأمر بوضعه في المكتبة العامة الجامعة لكتب الوقف ، بحروس جامع صنعاء المقدّس التي أمر بمهارتها بأزاء الصومعة الشرقية ، بتاريخه (شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٨ هـ) ، وفي (ص ٣٨) : الحمد لله ، قد صار هذا المجلّد من جملة كتب مولانا العلامة سيف الإسلام وزير الخارجية عبد الله بن أمير المؤمنين ، المتوكل على الله ، يحيى بن محمد ، حفظ الله لنا أيامه ، (الحجة الحرام سنة ١٣٧٠) .

وفي هذه الصفحة زيدت زيادات ليست من العقل ولا من النقل في شيء ، ولت المحقق لم ينشرها ، إذ ليست من أصل الكتاب ، ولا من

مباحثه ، منها مانصه : وروينا عنه صلى الله عليه وآله أنه نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام فبكا (كذا) ، فهابه أهله أن يسأله عن بكائه ، فوثب الحسين عليه السلام ، فقال : ما يبكيك يا أبة ؟ قال : يا بني إني سررت بكم اليوم سروراً ، لم أسرّ بكم قبله مثله ، فأتاني جبريل فأخبرني أنكم قتلوان (كذا) مصارعكم شتّى فقال : يا أبة ، فمن يزورنا على تباين قبورنا ؟ ، فقال عليه السلام : قوم من أمتي ، يريدون بذلك بري وصلي ، إذا كان يوم القيامة أتيت إليهم . فأخذت بأعضادهم ، فأنجيهم من شدائدنا وأهوالها ، وهذه الرواية ليس لها سند ، وهي مخالفة للواقع ، إذ أن الحسن عليه السلام لم يقتل ، وقال (قتلاوان) بدل (قتيلان) ، وبعد إيراد خبر ثان ، قال الكاتب : وأخبرنا رواية هذه الأخبار للأميرين الأوحدين السيدين يحيى ومحمد ابني أحمد ، تولا (كذا) الله تعالى توفيقها ، ثم نوّه بالمتعمد ومزاياه ، وذكر مختصره وعزاه لمؤلفه ، وفي (ص ٤٠ و ٤١) ذكر كتاب تجريد المتعمد ، واسم من ملكه شراء ، ومن انتقل إليه من بعد . وختم الأستاذ محمد حميد الله مقدمته بأداء واجب الشكر وعرفان الجليل ، إلى الأستاذ هنري لاوست لتقديمه دراسات قيمة ، حول هذا النص من مجموعة مصادر موجودة في المعهد الفرنسي العربي بدمشق (قال) وهو الذي يحمل إلينا دائماً أكبر وأثمن المساعدات .

النسخ ومعناه

إن اسم النسخ شائع في كتب أصول الفقه ، وقد كتب هذا الكتاب (المتعمد) فيه صفحات ، والنسخ : حقيقة الإزالة ، وله شروط معروفة في الأصول ، وقد سمّوا به ما ليس منه توسعاً وتسامحاً ، كتفصيل المجلد ، وبيان المهم ، وتخصيص العام ، وكالاستثناء ، وقد أجمع علماء الأصول

وعموم المفسرين على أن الآية التي لا تتعارض مع غيرها تبقى على إحكامها ، وإن الناسخ والمنسوخ غير وارد إلا في الآيات القرآنية التي يتعذر الجمع بينها ، وجميع الآيات التي أوردت في هذا الباب ، يمكن الجمع بينها ، بدون إبطال الحكم في أية آية منها ، وإني مورد ثلاثة أمثلة لذلك بالكلم الوجيز .

١ - آية الدين (٢٨٢ - ٢٨٣) من أواخر سورة البقرة : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه » ثم قال : « فإن أمن بعضكم بعضاً ، فليؤد الذي أوثقن أمانته وليتق الله ربه » فالظاهر من مجموع الآيتين أنه إذا أمن بعضهم بعضاً ، فلا تجب كتابة الدين ، وإلا وجبت .

٢ - وقوله تعالى : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما ، فتذكر إحداهما الأخرى ٢٨٢ » جعل تعالى المرأتين مكان الرجل الواحد في آيتي الأموال والديون وآجالهما ، لأن الأصل في مثل هذه الأعمال هم الرجال ، أما ما يختص بهن فقد فرق الرسول (ﷺ) بين رجل وامرأته بمجرد أن أخبرت امرأة موثوقة بأنها أرضعتها .

٣ - وقوله سبحانه : « وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، مع قوله : « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ٢٨٤ - ٢٨٦ » يحاسبنا تعالى على ما يتأصل في نفوسنا من الصفات والمسلكات ، إن كانت خيراً أو شراً وسواء علينا أظهرناها أم أضمرناها ، أما الخواطر السوانح البوارح التي تمر بالإنسان ، فيدفعها مستعيذاً بالرحمن ، فلا يحاسب عليها ، إذ هو لم يقصدها ولم يعمل بها « إن الذين اتقوا ربهم إذا مسهم طائف من الشيطان ،

تذكروا فإذا هم مبصرون ، فكل آية باقية على إحكامها ، لا ناسخة ولا منسوخة .

وما يورده بعضهم من النسخ في آيات السلم ، وأن ليس لغير المسلمين إلا اعتناق الإسلام أو الحرب ، فهذا خطأ لا يحتمل الصواب ، بل الإسلام ، دين السلام ، لجميع الشعوب والأقوام ، وهو حرب على الأعداء الثام ، « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » فالآية صريحة في قتال المعتدين ، لا في من ألقى إلينا السلم وكف عن الحرب ، ولا فيمن لم يقاتل من النساء والشيوخ والمرضى ، فآيات السلم والحرب كلها محكمة ، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

ووضع الندي في موضع السيف بالعلی مضرّ كوضع السيف في موضع الندي هذا وإنا نقدم أعطر الشكر ، وأطيب الثناء ، للأستاذ محقق الكتاب ومعاونيه ، وللمعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ، الذي نهض بطبعه على حسابه ، وقدم نسخاً منه إلى المجمع العلمي العربي ، رئيسه وأعضائه ، راجين أن تزداد هذه الروابط العلمية بيننا على الدوام . وكنا نود لو نقلت مقدمته الفرنسية إلى العربية ، إذاً لكانت فائدتها أعم وأشمل ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

محمد بهجة البيطار



تفسير القرآن الكريم

للإمام أبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي

المتوفى سنة ١٦١ هـ = ٧٧٧ م

رواية أبي جعفر محمد ، عن أبي حذيفة النهدي عنه ، صححه ورتبه

وعلق عليه : امتياز علي عرشي ، مدير مكتبة رضا

رامبور ، الهند

طبع باعانة وزارة المعارف لحكومة الهند (١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م)

هذا الكتاب صفحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن الكريم وفهمه ،
فهو يفسره بأقوال الصحابة الكرام ، والتابعين ، ومن تبعهم باحسان ،
ولو عُني سائر المفسرين عناية أولئك الأئمة السابقين بالذكر الحكيم ، لجددنا
في عصرنا عهدهم ، وأعدنا لأمتنا مجدهم . قال أبو عبد الرحمن السلمي :
حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود
وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تلمّسوا من النبي ﷺ عشر آيات ، لم يجاوزوها
حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل
جميعاً . فهذه هي الطريقة المثمرة التي تجدد لنا عهداً بدراسة أولئك الأقطاب
الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض ، ويمكن لهم فيها ، وأورثهم علوم
الأمم وحضارتهم . وهذا المنهاج القديم هو الذي يطبع الدارسين بطابع
اللغة والإسلام والفضيلة .

والآن نوجز القول بوصف ما اشتمل عليه هذا التفسير الجليل مع
تحقيقاته وتعليقاته .

ويكاد يكون هذا التفسير مما يُسمى تفسير غريب القرآن ، فهو تفسير للمفردات ، لا للسور والآيات ، وإليك أمثلة منها :

١ - سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، في قوله جلّ وعزّ : «أو كصيّب من السماء» قال : السحاب فيه المطر (١) (الآية ١٩) .

٢ - سفيان عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله جلّ وعزّ : «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون» قال : تطيعون (٢) - (الآية ٢١) -

٣ - سفيان عن مجاهد «فلا تجعلوا لله أندادا» قال : عدلاء ، «وأنتم تعلمون» يا أهل الكتاب ، تعلمون أنه واحد في التوراة والإنجيل (٣) ، (الآية ٢٢) .

هذه أمثلة من هذا السّفر الجليل ، وقد ذكر المصحح مراجع التفسير ، ونحن أغفلنا ما ذكره هذا المصحح الكبير من تراجم الرواة بالكلم الوجيز ، فقد سُمّي مراجعها من المعاجم التاريخية مشيراً إلى أرقام الأجزاء والصفحات كما في عمل كتب التفسير . وقد بلغ هذا التفسير (٤٨٨) صفحة ، منها (٢٤٤) صفحة ، وهذا هو النصف الأول ، الذي بلغ سورة الطور ، وهي آخر التفسير ، وأما النصف الثاني ، فقد عنونه الأستاذ امتياز علي عرشي - وهو الذي صححه ورتبه وعلق عليه - بعنوان (الخاتمة) في تراجم

(١) روى الطبري ١ / ١١٤ عن سوار بن عبد الله الضبري ، قال ، قال سفيان الصيّب الذي فيه المطر ، وليراجع ابن كثير ١ / ٥٤ والدر ٣٣ .

(٢) رواه الطبري ١ / ١٢٤ عنه بزيادة «لعلكم» قبل «تطيعون» - وليراجع الفرناطي ١ / ٩٦ والدر ١ / ٣٤ .

(٣) روى الطبري ١ / ١٢٦ عن الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ، وأتم نطرون أنه إله واحد ١ وليراجع ابن كثير ١ / ٥٨ والدر ١ / ٣٥ .

رجال الثوري . قال : وأدرجت فيها كل من له ذكر في هذه الأحاديث والآثار ، سواء كان ذلك في أسانيدها أو متونها - وربتها على الصحابة والتابعين وأتباعهم ، والتزمت في التراجم على اختصارها ، أن لا تقصر عن إظهار ما في الرواة من القوة والضعف عند أرباب الجرح والتعديل ، وذكرت من المآخذ والمراجع كل ما كان في يدي من المطبوعات والمخطوطات ، إتماماً لفائدة من يريد أن يكتب على أحد منهم مستقلاً منفرداً . وقد بلغت هذه التراجم (٢٩٩) ترجمة ، وطريقته فيها أنه يترجم للراوي ملخص ما ذكره ، مما تهم معرفته ، ثم ينوّه بالكتب التي تلخصها منها سواء أكانت مطبوعة أو مخطوطة ، مع الدلالة على أرقام الأجزاء والصفحات .

وفي آخر الكتاب استدراك مطوّلان ، أحدهما على الحواشي (أي التي على التفسير وهي النصف الأول من الكتاب) وثانيها على التراجم ، وهي النصف الأخير . وهذه المستدركات هي أسماء مراجع من كتب وأرقام لما فات المحقق ذكره في صفحاته ، مشيراً إليها ، ودالاً عليها ، ثم ختم الكتاب بأربعة فهارس ، أولها فهرس المآخذ والمراجع ، فعدّها منها (٢١) لكتب التفسير والقراءات ، وقد بلغت مع كتب الحديث والأصول والكلام (٥٦) ثم مع كتب التاريخ والسيرة والرجال (١٨١) ومع كتب اللغة والأدب (٢٠٥) . ثانيها فهرس الأشخاص والقبائل والأقوام ، هادياً إلى الأرقام ، مما تكررت هذه الأعلام ، ثالثها فهرس الأماكن والبلدان ، رابعها فهرس الكتب والألسنة . والحق أقول : إني لم أر كتاباً شرقياً أو غربياً أوسع استيعاباً ، أو أكثر عناية وإتقاناً من هذا الكتاب ، وتعليقات الأستاذ المصحح ليس عليها أثر للعجمة ، بل هي مثل رائع في فصاحتها ، ولعمري إن هذا يبركة القرآن المنزل الذي عربّب الأقطار ، وبلغ بلغة العروبة ما بلغ الليل والنهار .

★ ★ ★

ملاحظة مهمة

ذكر المصحح في مقدمته (ص ٣٥) خصائص هذه النسخة الوحيدة في الكتابة ، كعدم كتابة الألف في بعض المفردات ، وكعدم كتابة الهمزة والواو في بعضها الآخر . وقد نبه على هذا الاصطلاح لكيلا يشكل على القارئ إذا رأى ذلك .

• • •



[النسائيات] من الأحاديث النبوية الشريفة

مبوبة مشروحة شرحاً موجزاً وافياً ، مع تراجم الصحابة
تحقيق وشرح فضيلة الأستاذ الشيخ محمد صالح فرفور
الناشر : المكتبة الحديثة بدمشق

جعل العليم الحكيم حق الولاية العام في الإسلام للرجال والنساء على السواء ، وهي ولاية النصح والتذكير ، والتوجيه والتحذير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ويدخل في هذا التضامن والتعاون على البر والتقوى ، وعظ النساء ، حتى للخلفاء ، والملوك والأمراء . وقد كان النساء يعاملن هذا ويعملن به كالرجال ، كما فعلت تلك التي ذكرت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) في أمر المهور ، وهو واقف على منبر الرسول (ﷺ) ، فاعترف بخطئه ، ورجع إلى قولها عن قوله . النساء ربّات البيوت ومربيات الأطفال ؛ بل هن أميرات الداخل ، ومما قل المنازل ، والإسلام هو الذي أنزلهن المنزلة اللاتقة بهن ، إذ قد

م (٩)

منح المرأة حقوقها ، وعرفها واجباتها ، وآية : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » قد ساوت بين الرجال والنساء ، في الحقوق والواجبات ، وخصت الرجل بدرجة الرئاسة الشورية (لا الاستبدادية) ، إذ لا بدء لكل أسرة وجماعة من نظام ، ولا بدء لكل نظام من رئيس منفذ ، والرجل أولى بتطبيق النظام المنزلي وتنفيذه .

وكتاب (النسائيات) لمؤلفه الأستاذ الجليل الشيخ محمد صالح فرفور جامع لما يجب للمرأة وعليها ، وقد فصل القول في هذا الموضوع وجعله في ستة أقسام ، مُتَوَجِّهاً كل قسم بأحاديث نبوية ، مشكولة وممزوجة إلى روايات من الصحابة الكرام ، وإلى مخرّجها في الصحيحين وكتب السنن ، مشروحة شرحاً واضحاً بالكلم الوجيز ، وفي طليعة الكتاب تراجم الرجال المخرجين من أئمة الحديث الذين ورد ذكرهم في (النسائيات) ، وعقب كل حديث شرحه الموجز ، وترجمة الصحابي الذي رواه أو الصحابية . وهذه الأقسام الستة أولها في فريضة العلم ووجوب طلبه وتحصيله ، والثاني في العبادات المفروضة ، والثالث المحرمات في الإسلام في طريق الحياة الزوجية ، والرابع المحرمات في طريق الحياة العامة ، والخامس في الأخلاق الحميدة والندب إليها ، والسادس في الزهد والتواضع والتقوى ، وتحت كل قسم أبحاث متنوعة في موضوعه . وختم المؤلف كتابه بثلاث فهارس ، أولها في الأحاديث النبوية مع بيان موضوعها ، مقرونة بأسماء روايات من الصحابة ، والثاني للأعلام وتراجمهم بأرقامها ، والثالث في مواضع الكتاب ، وذكر المصادر والمراجع .

والكتاب في جملته يصلح أن يدرس في الثانويات وفي كليات الشريعة ، وأن يكون أساساً من أسس الحياة المنزلية ، وتربية الآباء والأمهات ،

للأولاد بنين وبنات ، على أشرف الخصال ، وأفضل أفعال . أثاب المولى
تعالى المؤلف ثواب العاملين المخلصين .
وهنا نستدرك الكلمات القليلة التي سها عنها المؤلف في جدول
الخطأ والصواب :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٢	٣	لتلبس ثيابها	لتلبس
٥٣	٦	وقل	« قل »
٥٣	٩	إلا لبعولتهم	« لبعولتهم »
٥٤	٥	مع بعضهم	بعضهم مع بعض
٦٤	٩	عن بعضها	بعضها عن بعض
٧٢	١٣	النساء أن يسجدوا	أن يسجدن
٧٦	٢	العاص	العاص
٨٠	٧	لكن... وإقذار	وأقذاراً
٨٣	١٠	إن لكل أمة شيمة	شيمة
٩٨	١٦	من سلطانا	سلطانا
١٢٣	١	دعوى العرس	دعوة العرس
١٢٧	٩	وعلى شر	وعلى شر
١٤٦	٦	بشماله	بشماله
١٥٣	٧	والتخمة	والتخمة
١٦٢	١٢	ليكفرها	ليكفرها
١٧٧	٨	ويليسون	ويليسون

ب . ب .



التاريخ الحربي الإسلامي

في سلسلة من المؤلفات القيمة

صنع اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ١ -

« إن تاريخ العرب المسلمين الحربي ، مفخرة من مفاخر تاريخ الحرب العالمي ، وهذا التاريخ إذا أحسن عرضه ونشره غني بالدرس والعبر لكل عربي وأكل مسلم ، بل لكل منصف من غير العرب والمسلمين ؛ فلماذا يستورد العرب والمسلمون الدروس والعبر من تواريخ الأمم الأخرى ويتركون تاريخهم الموثق وراءهم ظهرياً ؟ وإلى متى يكون عالة على الأمم وأمتهم بأعجائها الشائعة أخرى الأمم بالتقدير والإعجاب ؟ ! » .

هذه الفقرة التي سُليّت من كلام طويل ، تتضمن دعوى ذات عرض بالغ ، إذ أنها تؤكد أن التاريخ الحربي للعرب المسلمين يعتبر مفخرة في تاريخ الحرب عند مختلف أمم العالم ، كما أنها تجزم بغنى ذلك التاريخ بالدروس القيمة والعبر المفيدة في بناء مستقبل زاهر لأمة العرب ذات المجد الغابر والحضارة العريقة ، وهي تتضمن أيضاً ، حث علماء العرب والمسلمين على دراسة تاريخهم دراسة عميقة ، ونشر تراثهم نشرًا علميًا يقيناً أمتهم عن اللجوء إلى تواريخ غيرها من الأمم ، أو إلى دراسات غيرهم من العلماء للاستعانة بكل ذلك في تحصيل الدروس واستلهاهم العبر .

فمن هو صاحب هذه « الدعوى » ؟ وهل « شروط الادعاء » متوافرة

فيه ؟ وما هي « البراهين » على صحة مدعاه ؟ وماذا صنع مما يدعوا العلماء إليه ؟ وإلى أي حدٍ وُفق فيما صنع ؟

من الأمور المبتوت فيها ، أن المؤرخين العرب والمسلمين - كما يقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، في مقدمة كتابه القيم (علم التاريخ عند العرب) - تركوا « ذخيرة تعز بها المكتبة العربية ، وتفاخر بها في الميدان العالمي ، وتباهي بها من ناحية التوثيق الإخباري الذي يستند إلى الرواية والسند ، راوياً عن راوٍ ، بما لا نجد له نظيراً في تواريخ الأمم الأخرى (١) » ، وقيمة هذه الذخيرة التاريخية ، لم تكن إلا بفضل الجهود الجبارة التي بذلها علماء العرب والمسلمين في تدوين التاريخ ، بعد أن وضعوا القواعد الدقيقة لهذا التدوين ، واشترطوا فيمن يتصدى لكتابة التاريخ شروطاً قاسية ، عبر عنها أحد كبار المؤرخين المسلمين ، هو الإمام تاج الدين السبكي صاحب كتاب (طبقات الشافعية) بقوله : « فلا بد أن يكون المؤرخ عالماً ، عدلاً ، عارفاً بحال من يترجمه ، ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ، ولا من العداوة ما قد يحمله على الغش منه . وربما كان الباعث له على الضعة من أقوام مخالفة العقيدة واعتقاد أنهم على ضلال ، فيقع فيهم ، أو يقصر في الثناء عليهم لذلك (٢) » .

من هذا نجد أن المصادر الموثوقة لتاريخ الدولة العربية الإسلامية متوافرة في عصرنا هذا ، ولا عناء في دراستها واستنباط ذخائرها المفيدة في حياتنا المعاصرة ، بشرط أن تتوافر - فيمن يتصدى لذلك - الصفات العلمية والخلقية التي تجعل منه أهلاً للبحث والنقد والاستنباط ، لأن التاريخ وهو في جوهره عِلْم من أهم العلوم الإنسانية وأفيدها « يعوزه ما يعوز

(١) انظر ص ٣ ، طبعة القاهرة ١٩٦١ .

(٢) انظر المرجع السابق لمحمد عبد الغني حسن ص ٢٨ .

سائر العلوم الأخرى من طب وهندسة وفقه وغيرها وأنه لا بد لصاحبه من أن ينشأ نشأة علمية خالصة يتربى فيها على الشروط الفنية التي يقتضيها كل علم (١) ، كما أنه لا بد لمن يتصدى للاستنباط من التاريخ من « التضلع من الفلسفة والعلوم الاجتماعية والجغرافية للاستبصار بنورها والتذرع بوسائلها واستنتاجاتها في فهم الماضي وإيضاحه ، فلا بد للمؤرخ من فهم العقل البشري فهماً وافياً كافياً ، وعليه أن يتعرف إلى المحيط الذي عاش أو يعيش فيه الإنسان من وجهتيه الجغرافية والمادية (٢) » . فإذا ما وُجد مثل هذا العالم أمكنه أن يبدأ - كما يقول الأستاذ أسد رستم - باستعراض الحقائق وإدراك كنهها ، وله أن يكون في نفسه فكرة عنها أو نظرية منها يؤمن بصحتها ، فيحمل لواء التبشير بها والدفاع عنها .

★ ★ ★

بعد هذه المقدمة التمهيدية ، نستطيع أن نعود إلى الفقرة التي توّجنا بها حديثنا هذا ، ونقول بأنها فقرة وردت في ثنايا تقديم كتاب أخرجته المطابع العربية في بغداد سنة ١٩٦٥ م (٣) ، وقد صنعه ضابط ولد في بيئة عربية صافية ، ونشأ في أسرة مسلمة متمسكة تقيم في الموصل شمالي العراق ، فلما أتم تحصيله الثانوي ، كان سنة ١٩٣٧ م في عداد طلاب الكلية الحربية في بغداد ، حتى إذا ما تخرج ضابطاً في الجيش العراقي ، كانت الروح الحربية والعلوم العسكرية قد استحوزت عليه فراح وراءها ، ثم كان سنة ١٩٤٧ م ضابطاً في كلية الأركان وفيها أخذ يتبحر في العلوم

(١) انظر أسد رستم في كتابه « مصطلح التاريخ » المقدمة ، بيروت ١٩٥٥ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٣) انظر مقدمة كتاب « الفاروق الفائد » .

العسكرية ، على أيدي ضباط الجيش العراقي المظالم ، ولما تخرج من كلية الأركان أخذ يتدرج في المراتب العسكرية حتى حصل على مرتبة الأمراء في الجيش العراقي ، وكان في جميع مناصبه يتابع الدراسات العسكرية والمؤلفات التاريخية ، ومما أخرجته له مطابع بغداد الكتب التالية : « القضايا الإدارية في الميدان » و « التدريب الفردي ليلاً » و « المشير فون رونشتد » . وعكف الضابط العربي المسلم على دراسة التاريخ الإسلامي ، وقد دفعته دراسات كلية الأركان ، إلى الوقوف على أخبار النزوات والحروب والارتواء منها ، وأخذ يتابع هذه الأخبار في جميع مصادرها ، في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي ، وفي كتب السيرة والتاريخ ، وفي معاجم البلدان وكتب الجغرافية ، وبين ثنايا كتب الفقه والنظم الشرعية المختلفة ، فإذا به يتهمي إلى نظرية آمن بها ، فجعلها « دعوى » لخُصصها في الفقرة التي يدور حديثنا حولها ، ثم أخذ يحدد معالمها ويقم البراهين على صحتها ويزود المكتبة العربية بما خطط له من مؤلفات ودراسات .



إن الضابط الذي تتكلم عنه ، هو اللواء الركن محمود شيت خطاب أحد أعضاء المجمع العلمي العراقي الجديد ، وقد طلع علينا خلال السنوات القليلة الماضية بسلسلة من المؤلفات المبكرة في التاريخ الحربي الإسلامي ، بجبا بيراعة العالم المتبع ، ورسم خطوطها رسم الخبير الضليع ، وإذا كان تدوين التاريخ الإسلامي تدويناً حديثاً يحتاج إلى عشرات العلماء المختصين ، فإن قيام ضابط بمفرده بالتصدي لحمل عبء الجانب الحربي من هذا التاريخ ، وهو جانب لعمري بالغ الأهمية جليل الفائدة ، يدل على شجاعة وإقدام فائقين ، وإذا كانت هاتان الصفتان غير مستغربين في ضابط عربي ، فإن

ما أقدم عليه اللواء خطاب جدير بالإعجاب والتقدير ، لأنه بعمله ألقى ضوءاً جديداً على سائر جوانب التاريخ الإسلامي التي مازالت بحاجة إلى من يتفرغ لدراستها وعرضها عرضاً جديداً صادقاً يتفق وطموح العرب والمسلمين في نهضتهم الحديثة .

يذكر اللواء الركن محمود شيت خطاب البواث التي دفعته إلى دراسة التاريخ الإسلامي قائلاً : « إن أنس فما أنس يوم كنت تلميذاً في الكلية العسكرية عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) وضابطاً في كلية الأركان عام ١٣٦٧ - ١٣٦٨ هـ (١٩٤٧ - ١٩٤٨ م) وكان تاريخ الحرب أحد المواضيع التي تدرس في هاتين الكليتين العربيتين في العراق البلد الإسلامي ، فقد ملأ ذلك التاريخ عقول التلاميذ والضباط فيها بفيض غامر من أسماء القادة الأجانب ... والعجيب أن بعض تلك الأسماء هم قادة جيوش الاستعمار في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) الذين أدخلوا الاستعمار إلى البلاد العربية ! ويكفي أن أذكر أن من محاضرات تاريخ الحرب المهمة في الكلية العسكرية موضوع : حرب العراق ، وهي الحرب التي استعمر بها البريطانيون وادي الرافدين ! .. ولم أسمع حين كنت تلميذاً أو ضابطاً في هاتين الكليتين محاضرة واحدة عن قائد عربيٍّ مسلم مثلاً للقادة الفاتحين ... (١) »

ويقول اللواء خطاب بمبدئ : « كانت أمنية غالية على القلب والعقل معاً ، تراودني منذ ما يزيد على العشرين عاماً خلت ، أن أتفرغ للكتابة عن تاريخ قادة الفتح ، الذين حملوا رايات الإسلام من الصين شرقاً إلى فرنسا غرباً ، إلى حدود سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً .

(١) انظر مقدمة كتاب « الفاروق القائد » ص ١٠ .

لقد كنت أشعر شعوراً عميقاً بمظمة هؤلاء الرجال ، وأشعر بالحزن والأسى يحزان في نفسي ، حين ألمس أن هؤلاء الرجال - على عظمتهم في آثارهم وفي تضحياتهم - لا نعرف حتى أسماء أكثرهم ، وما نعرفه عن بعضهم لا يتجاوز بعض المعلومات السطحية المشوشة التي يشيع فيها التناقض والاضطراب (١) .

« وأخيراً - يقول اللواء خطاب - تيسّر لي التفرغ المنشود الذي كنت أتمناه على الله ، فسكفت على المصادر القديمة والحديثة : أجمع أخبار قادة الفتح من شتات كتب (السّير) و (المغازي) و (طبقات الرجال) وكتب التاريخ والأدب ، وكنت كلما وجدت اسم قائد فاتح أبادر إلى تسجيله في سجل خاص وأشير إلى كل مصدر ومرجع يتحدث عنه ؛ وفي النهاية تجمّعت عندي مادة غزيرة عن بعض القادة وشذرات مقتضبة عن أكثر القادة .. (٢) » :

ولا يكتفي اللواء خطاب في بيان ما يتغياها من جهوده في تدوين تاريخ المسلمين الحربي ، بما ذكره في الفقرة التي نقلناها عنه في صدر هذا المقال ، بل تجاوز ما ألمع إليه من غايات عامة ، إلى التصريح بما يتوخاه ويرجوه من وراء جهوده قائلاً : « وكان من فضل الإسلام على العرب ، أنه وحد صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، ووجههم للفتح ، فكان الإسلام بحق عقيدة منشئة بناءة زاد عنها حماة قادرون ، هم العرب الموحدون الذين أصبحوا بفضل وحدتهم قوة جبارة ، ولن يمدوا سيرتهم الأولى بغير الوحدة والتوحيد أقولها كلمة صريحة حاسمة موجبة لقادة العرب خاصة ولقادة

(١) انظر مقدمة كتاب « تاريخ فتح العراق والجزيرة » ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٨ .

المسلمين عامة . إن التاريخ لم يخلد غير الذين وحدوا وجاهدوا : وحدوا الصفوف ، ولموا الشعب ، وكونوا قوة موحدة من قوى متفرقة ، وجاهدوا في سبيل مثل عليا لمصلحة أمتهم ، ولمصلحة الإنسانية ، فالحياة تافهة ، إذا خلت من مثل عليا ... إن القائد الذي يقدم على توحيد العرب وجهاد أعدائهم ، سيجد القلوب في الوطن العربي تهدي إليه ، وسيجد النفوس في دار الإسلام تبارك خطواته ، وسيجد الذين يقاومون جهوده يتهاوون تحت أقدامه كما تتهاوى أوراق الشجر في الخريف (١) .

ولم ينس اللواء خطاب أن يشير إلى الروح التي سيطرت عليه في مؤلفاته فذكر في كتابه عن « الرسول القائد » قوله : « لقد درست حياة الرسول العسكرية بروح علمية محايدة ، توخيت منها إظهار الواقع العملي من قيادة محمد ﷺ ، ذلك الواقع الذي يستحق التقدير كل التقدير .

ولم أنس المواقف التي تستحق التقدير من أعمال المشركين ، لأن قيادتهم وقواتهم قامت بأعمال ذات قيمة عسكرية في قتالها ضد المسلمين ، مما يجعلنا نلهس ما لاقاه الرسول ﷺ من مصاعب في القضاء على المشركين (٢) .



إن هذه المقدمة لا بد منها - في رأينا - لأنها تمهد لنا عرض ما صنعه اللواء الركن محمود شيت خطاب حتى اليوم مما حمل نفسه عبء التبشير به والدفاع عنه ، وأمامنا الآن خمسة مؤلفات هي :

عمرناه الخطيب

(يتبع)



(١) انظر ص ٢٢ من كتاب « الرسول القائد » الطبعة الثالثة .

(٢) انظر ص ١٢ من كتاب « الرسول القائد » الطبعة الأولى .

الشذرات

كتاب عدد صفحاته (٣٢٠) صفحة من القطع المتوسط
أخرجته (دار الكتاب الجديد) في لبنان عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي غني عن التعريف ، فهو من أكبر الشخصيات العلمية في الشرق العربي في عصرنا هذا ، وهو مع ما ناله من الألقاب العلمية حتى الآن ، صاحب أكبر مجموعة من معاجم الألفاظ والمصطلحات العلمية التي يصعب تقدير نفعا وتحديد فائدتها ، حتى لقد عد صاحب الاختصاص الأوحده في هذه الناحية من نواحي المعرفة .

ولسنا بسبيل إحصاء مؤلفات الأستاذ وتعداد آثاره لولا ظهور كتاب جديد له ، هو من أحسن الآثار الأدبية التي ظهرت في هذه الأيام ، ولعل ما يلفت النظر هنا أن هذا الكتاب يختلف عن كتب الأمير الأخرى السابقة التي تناولت الشؤون اللغوية والمصطلحات العلمية لأن كتاب اليوم « الشذرات » الذي تقدمه للقارئ قد اشتمل على « مقالات ومحاضرات في الأدب والعلم والفلسفة » كما أشير إلى ذلك في عنوان الكتاب المثلث في صفحته الأولى .

ومما يغري بقراءة هذا الكتاب أن يجد القارئ فيه ناحية جديدة كل الجدة ، طريفة كل الطرافة ، وهي ناحية الكتابة الأدبية الصرفة التي تصوّر أخلاق بعض الناس ، وترسم لك بعض المواقف والمواجس عند الكثير ممن عرفهم الأستاذ الكبير ؛ مما يمكن أن يدخل في عداد الكتابات الأدبية التي سميت في المصطلح الحديث « الفن للفن » فهي كتابة فنية حقاً

تعني بتصوير الآراء ورسم الأفكار ، ولا ترمي إلى إثبات نظرية أو تحقيق مفهوم علمي غامض .

هذا اللون من الكتابة يعتبره النقاد أرفع ألوان الأدب لأنه أقرب إلى الشعر الذي يلتفت فيه إلى الصورة والنعمة واللمحة الخاطفة الأخاذة يتخلل كل ذلك ظرف ظاهر ، وتقد سافر ، فيه كل المتعة والجمال .

والأستاذ الأمير في كتابه هذا بطلمعك على ناحية هامة غير هذه ، هي النظرة الواسعة الشاملة ، والإنسانية التي تنتظم حياة الإنسان وما حولها ، ولو قرأت الموضوع الأول من الكتاب « الأزهار المدوسة » لأحسست بشفقة الكاتب ورحمته للأزهار التي داسها جاره وتركها « ذابلة ملقاة في الطريق » دون أن يستشعر الرحمة والعطف عليها .

ولو قرأت الموضوع الثاني « غرائب المصانعين » لأعجبك ما فيه من فكرة نفاذة ولفته أخاذة ، تحصي على الناس أخطاءهم وتعرف دخائل نفوسهم ، فلا يعجزها أن تعددها وأن تثبتها في مقال رائع .

ولو اطلعت على موضوع « حديث بغل وحمار » لضحكت ملء فيك للنكتة البارة الموفقة ، والوصف الذي يختار اللفظ وينتقيه فعل اللغوي المتبحر والأديب المتخصص ، ولأذكر لك هذا « الحديث » ما مر بك من قصص « كليله ودمنة » وآثار لافونتين في حكاياه عن الحيوان .

وبعد فإن هذا الكتاب الجديد الجميل إنما هو عدد من المقالات الأدبية والفلسفية والاجتماعية اختير من مقالات كثيرة ومحاضرات عديدة في شتى الموضوعات ، كتبت منذ سنين عديدة ونشرت في أهم المجلات والصحف كالمقتطف والهلal والرسالة وغيرها ، وهو خلاصة طيبة ونجبة صالحة مما كتبه الأمير في أوقات فراغه من أعمال الدولة يوم كان موظفاً من كبار موظفي الحكومة ، وهو من أجدر الكتب بالقراءة والاطلاع .

أحمد الجندري



فن الترجمة في الأدب العربي

كتاب عدد صفحاته (٢٣٨) صفحة من القطع الصغير
من منشورات « الدار المصرية للتأليف والنشر » في القاهرة عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

هذا كتاب فريد في بابهِ ، جديد في نوعه ، فإن فن الترجمة « لم يعالج
في الإنتاج الفكري العربي بكتاب واحد » كما قال مؤلف الكتاب الأستاذ
محمد عبد الغني حسن ، بصراحة ووضوح .

والأستاذ المؤلف شاعر وكاتب ومؤلف ، عرفته المجلات العربية منذ
سنوات طويلة ، فقد جال قلبه في ميادين الفكر والفن جميعاً وكان في كل
ذلك موفقاً مستحقاً للإعجاب والإطراء . ونعتقد انه لقي في هذا الكتاب
« فن الترجمة » من الجهد والصبر ما لم يلقه في كتاب آخر من كتبه الكثيرة ،
لطرافة هذا البحث ، وقلة المراجع فيه ، وصعوبة العثور على الضوء الذي
يقود المؤلف إلى الحقيقة إن أعوزه النور .

ولقد حاول المؤلف منذ أول صفحة في الكتاب حتى آخر صفحة منه
أن يقدم للقارئ بحثاً علمياً عن الترجمة ، فبحث الموضوع لغوياً ، ثم تعرض
للمشتغلين في هذا البحث منذ الجاحظ حتى عصرنا الحاضر ، كما تعرض
لموضوع يمكن أن نسميه من باب التجوز « فلسفة الترجمة » فكتب عن
شروط الترجمة ، والترجمة بين الإغراب في اللفظ والوضوح ؛ والترجمة بين
الزيادة على النص والحذف منه ، والترجمة من حيث ترجيح المعنى على اللفظ
وبالعكس ، إلى غير ذلك من نواحي الترجمة التي يصعب الوصول فيها
إلى نتيجة خالصة سالمة من النقد ، وكان عمل المؤلف في إخراجها وكتابتها
عملاً شاقاً صعباً .

وقد كنا نتمنى لو أن المؤلف خص « تاريخ الترجمة عند الشعوب » أو عند العرب بفصل خاص ، بدلاً من أن تترك المعلومات التاريخية عن الترجمة مبثوثة في موضوعات مختلفة العناوين متعددة الاتجاهات ، كما أن لنا رأياً في ترجمة الشعر نسير فيه مع الجاحظ الذي قال بـ « عدم استطاعة الترجمة نقل الشعر ، أو المادة الشعرية ، من لغة إلى لغة أخرى لأن السر كل السر في الشعر كائن في تقطيعه ونظمه ووزنه ، مما لا يمكن نقله ، فإذا حول كل ذلك ذهب حسن الشعر وسقط موضع التعجب منه » .

والشعر العربي ، خاصة ، يمتاز بصعوبة قد لا نلقاها في شعر أمة أخرى حين نعرض لترجمته أو نقله ، لأن الشعر العربي ذو لفظٍ ظاهر الجرس ، بارز الواقع ، ترتبط فيه الكلمات برباط النغمة والموسيقى الصوتية ، قبل أن ترتبط بالمعاني والأفكار ، والترجمة مها نبغ أصحابها لا يمكنها أن تنقل إلا الفكرة ، أما بقية عناصر الشعر التي تعتبر الفكرة واحدة منها ، فلا يمكن نقلها ، وهكذا فإن الشعر العربي إذا نُقل ، نُقل مشوهاً محطماً ناقصاً .

ويمكن أن نلجأ إلى الترجمة الشعرية أحياناً ، تجنباً لما سماه الأستاذ : « حرمان كبير للتراث الأدبي من كنوز يجب أن لا يحجر عليها » على أن يقصد من هذه الترجمة إلى (عدم الحرمان) من الاطلاع على آداب الأمم الأخرى ، وأن يكتفي فيها بنقل بعض الأفكار التي كتبت شعراً في اللغات الأخرى لكي لا يحرم منها من لا يعرف لغتها الأصلية وعلى أن يسمى هذا الجهد اسماً آخر غير « النقل » وغير « الترجمة » .

رغم هذه الملاحظات التي مرت بك فإن كتاب « فن الترجمة » يعتبر بحق فريداً في بابهِ ، بل لعله فاتحة جريئة لكتب أخرى تتناول هذا الموضوع الهام عند أصحاب الثقافة العربية الحديثة . ولعل للأستاذ محمد عبد الغني حسن فضل السبق في قيادة هذا الموضوع ، أو هو رائده الأول في كتاب .

أ. ج .



صور قروية

كتاب من القطع الصغير عدد صفحاته (١١٠) صفحات
من مطبوعات دار الكتاب اللبناني في بيروت عام ١٩٦٦
تأليف الأستاذ رياض المعلوف

هذا كتاب صغير الحجم أثبت فيه صاحبه الأديب والشاعر اللبناني المعروف رياض المعلوف بمض « الصور القروية » التي كتبها « بسواد العين » على حد تعبيره لأنه أحب لبنان حباً جماً وخاصة بلدته زحلة التي عاد إليها بعد أن زار عدداً من بلاد العالم لم يجد فيها الجمال والألفة التي أحسها في بلده القديم .

والقارئ يجد أن موضوعات الكتاب هي أقرب إلى الصور والامحات منها إلى البحوث والمقالات ، فمضمون الكتاب منطبق على عنوانه وموافق لما قصد إليه المؤلف ، فاذا قلبت هذه الصفحات الصغيرة الأنيقة عثرت على عناوين مغرية تذكرك بلبنان وتحمل إليك صورة عنه متعددة الخطوط والألوان ، من مثل : السنونو والريبع ، حنوت الضيعة ، الصيف ، بيوتنا في الجبل ، جرن الكبة ، والعنوان الأخير هذا يكاد يكون عنواناً لرحلة ذاتها فهي أشهر بلدة في الشرق بصنع هذا اللون الشرقي من الطعام ، كما أشار الكاتب في كتابه إلى حبه العميق للطيور فصور لنا عدداً منها ولو أن بعض هذه الطيور لا يعيش في لبنان كالطاووس والكناري .

ولا ندرى السبب الذي جعل الكاتب يختار لكتابه « الصغير » هذا الحرف الكبير الذي جعله أشبه بالكتب التي تؤلف لقراءة الاطفال في

المدارس . كما لفت انتباهنا قصر هذه الصور التي لم يتجاوز أطولها الصفحات اثلاث أو الأربع من الكتاب الصغير .
على أن بعض هذه الصور قد بلغ حدّ التوفيق في اللغة والتصوير كما رأينا في « أنشودة الغيم » التي تحدث فيها الأستاذ المؤلف حديث الشاعر عن سماء زحلة فوصف غيمها وصفاً لا ينقصه غير الوزن والقافية حتى يصير شعراً غنائياً جميلاً . يضاف إلى ما سبق لغة صحيحة ، وألفاظ رشيقة ، وبيان مشرق .

ج . أ



البيت في حياة العرب

كتاب في (٩٧) صفحة من القطع المتوسط

طبع عام ١٩٦٦

تأليف الأستاذ عبد القادر عياش المحامي

الأستاذ عبد القادر عياش يمكن أن يعد بين المختصين البارزين في البحث عن مظاهر الفن الشعبي في بلادنا وآثار هذا الفن ، وهو لكفاءته هذه انتخب عضواً في لجنة الفنون الشعبية لدى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق . وقد أصدر كتباً عديدة ، كما أن له مجلة خاصة هي « صوت الفرات » ، ينشر فيها بين الحين والآخر مقالات وبحوثاً مستفيضة حول الفن الشعبي الذي يستغرق اهتمامه ويفتح الميدان فسيحاً أمام قلمه .

أما الكتاب الجديد الذي أهدانا نسخة منه ، فيتعلق بموضوع يلفت النظر حقاً إلى بحث لا نعرف أن أحداً تطرّق إليه أو وقف عليه كتاباً بأسره ، فقد تحدث المؤرخون القدامى والمحدثون عن البيت في حياة العرب عرضاً ، ومرّ بهم البيت مروراً سافحاً فلم يتركوا له بحثاً خاصاً ، أو كتاباً منفرداً قبل كتاب الأستاذ عياش .

هذه ميزة هامة ، وللكتاب مزايا أخرى منها أنه كتب بلغة سهلة وبتفصيل لا يتعب المتتبع لهذا البحث الذي يهم أصحاب التاريخ والجغرافية والاجتماع على السواء ، أما أبحاث الكتاب فثلاثة عشر بدئت بالإهداء واطمت بالمنازل والطلول في الشعر .

ونحن نعتقد أن كتاب الأستاذ عبد القادر عياش قد سدّ ثغرة في حياتنا الثقافية وفي أدبنا الشعبي .

أ. ج



م (١٠)

آراء وأبناء



المرحوم عز الدين علم الدين التنوخي

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٨٨٩ - ١٩٦٦ م)

عز الدين علم الدين التنوخي

نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

(١٨٨٩ - ١٩٦٦ م)

فُجِعَ مجمع اللغة العربية بدمشق صباح يوم ٢٤ حزيران سنة ١٩٦٦ بزميل كريم ، وعلامة كبير ، وركن من أركان اللغة العربية ، وعاملٍ مخلصٍ في دعم صرحها والذود عن سلامتها ، وهو المغفور له عز الدين التنوخي الشهير بـ (شيخ السروجية) نائب رئيس المجمع ، وهو آخر الأحياء الذين أسسوا المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية الحالي) ، ومن عملوا جاهدين في رفع شأنه ووفرة إنتاجه . كان رحمه الله حجة في اللغة العربية وقواعدها وآدابها ، يُرجع إليه في حل معضلاتها ، ويُستفتى عن غوامضها ، ماضٍ بعلمه على مستفسر أو مستفيد ، يزودهم بإرشاداته ، ويستزيدهم بتواضعه . وكان معلماً حيثما وجد ، في المدرسة ، أو في داره ، أو مقر عمله . سلك في حياته سبيل السلف الصالح ، يعمل مخلصاً لربه وأُمته ، زاهداً بالشهرة ، متجنباً آفاتهما . وقد أنشأ على مقاعد التدريس جيلاً عاملاً ، يشيد أبدأً بفضلِهِ ، ويترنم بذكرهِ العاطر .

ولد رحمه الله سنة ١٨٨٩ م . ختم القرآن بدمشق في المدرسة الابتدائية السباهية ، ودرس مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية والفرنسية في المدرسة الرشيدية - الابتدائية والعالية - ثم انتقل بعد أخذ الشهادة الرسمية التركية إلى مدرسة الفرير الفرنسية ، ثم ذهب إلى مصر وطلب العلم في الجامع الأزهر ، ثم ذهب إلى فرنسا مع البعثة العلمية الأولى الدمشقية .

مكث في فرنسا ثلاث سنوات في مدرسة زراعية ، وبعد عودته عين بيروت معلماً لزراعة مركزها الزراعي ، ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى ، دعي لخدمة العلم ، وعندما شعر بسوء نية الأتراك وعزمهم على القدر بشباب العرب والتخلص منهم ، فرّ من الجيش التركي بحلب والتحق بشورة الملك حسين ، وعين في دولته وزيراً للزراعة ، وعاد إلى دمشق بعد أن دخلها الجيش العربي .

وفي دمشق ألفت وزارة المعارف مجلساً للمعارف كان من أعضائه الأولين . ثم تحول هذا المجلس إلى المجمع العلمي العربي ، وبعد المدوان الفرنسي واحتلال دمشق هاجر إلى العراق وعين أستاذاً للأدب العربي في دار المعلمين الأولى ثم دار المعلمين العالية ببغداد .

ثم عاد إلى دمشق فعين أميناً لسر المجمع العلمي العربي وأشرف على إصدار مجلته زمنياً ، ثم عين مدرساً للأدب العربي في بعض المدارس الثانوية ، ففتشاً للغة العربية ، فمديراً لمعارف محافظة السويداء ، فمستأذاً في كلية الآداب بجامعة دمشق ، فنائباً لرئيس مجمع اللغة العربية .

وهذا ثبت الكتب التي ألفها أو ترجمها أو حققها :

١ - الفتح المبين في شرح عينية ابن سينا الرئيس .

٢ - دروس في صناعة الإنشاء .

٣ - مبادئ الفيزياء جزآن .

٤ - قلب الطفل .

٥ - تحقيق (كتاب المنتقى من أخبار الأصفى) للإمام الربيعي .

٦ - (تكملة إصلاح ما تفلط به العامة) .

٧ - (بحر العوام في ما أصاب فيه العوام) .

- ٨ - شرح (الإيضاح) للقزويني .
- ٩ - إحياء العروض .
- ١٠ - تحقيق كتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي جزآن .
- ١١ - تحقيق كتاب (المثني) لأبي الطيب اللغوي
- ١٢ - تحقيق كتاب (الإتياع) = =
- ١٣ - تحقيق (مقدمة في النحو) لخلف الأحمر .
- ١٤ - شارك في وضع (المعجم العسكري) بقسميه (الفرنسي - العربي والانكليزي - العربي) .
- رحم الله الفقيه وأجزل ثوابه .



الشيخ محمد رضا الشبيبي^(١)

(١٨٨٨ — ١٩٦٥ م)

نعت أبناء العراق في شهر تشرين الثاني ١٩٦٥ م. عالماً من أعلام اللغة العربية وهو العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي . وقد شتى نعيه على زملائه وصحبه لمكانته العلمية والوطنية ، ولما كان يتحلى به من أخلاق رصينة . افتقدت بوفاته اللغة العربية رائداً من روادها وحامي ذمارها وشاعراً من كبار شعرائها ، وكان رحمه الله منذ نشأته وطنياً مخلصاً ، وفياً لوطنه وعروبه ، مناضلاً عن حقوق بني قومه وسيادتهم .

ولد المرحوم في النجف الأشرف سنة ١٣٠٦ هـ ، ودرس فيها العلوم العربية على الطريقة المألوفة في كتبها المعروفة ، وعلى هذا النحو تلقى المسائل العقلية والشرعية ، ثم مال إلى الدرس الحر والتفكير المجرد من تأثير المعلم والمربي واتجه إلى درس الفلسفة ومذاهب أهلها ، والتمرس بالفنون والآداب وحصل منها جميعاً نصيباً وافراً انتفع بها ونفع الناس بشمراتها . واعتزافاً بفضلها وتقديرًا لعلها :

(١) له ترجمة رانية بقلمه نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الثامن صفحة ٤٩٤ بمناسبة انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق .

- ١ - انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٩٢٣ .
- ٢ - انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة في سنة ١٩٤٧ .
- ٣ - انتخب أول رئيس للمجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٤٨ .
- ٤ - انتخب رئيساً للمجمع العلمي العراقي الجديد بعد ثورة ١٤ رمضان من عام ١٩٦٣ .

آثاره :

للمرحوم آثار كثيرة مطبوعة منها :

- ١ - ديوان الشبيبي .
 - ٢ - مؤرخ العراق ابن الفوطي في مجلدين .
 - ٣ - أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية .
 - ٤ - رحلة إلى المغرب الأقصى .
 - ٥ - رحلة في بادية السماوة .
 - ٦ - أصول اللهجة العراقية .
 - ٧ - إحصاء العلوم للفارابي (تحقيق) .
- وله مقالات وأبحاث ومحاضرات كثيرة نشرت في كبريات المجلات العربية .

تفمد الله الفقيد برحمته وجزاه كل خير عما أسداه إلى أمته ولقته
ودينه من نفع وخدمات جليلة .



القائف والأضخومة^(١)

أبدى أعضاء لجنة المجلة الزملاء الأفاضل رأيهم في بعض من مصطلحاتي الجدد المنشورة في المجلد ٤٠ - الجزء ٢ - ص ٥٢٥ منها كلمة (قائف) لما يقابل Archéologue وكلمة (أضخومة) لما يقابل Corset .

وإني أشكرهم لملاحظاتهم ، فقد أتاحت لي فرصة إعادة النظر في الكلمتين الأفرنجيتين أولاً ، فالاهتداء ثانياً ، إلى مصطلح جديد لما يقابل (الكورسه) أحسب انهم يستحسنونه لما فيه من معنى يحقق التصحيح الذي نشدوه من (المشد) ويتفق مع المقصود من الكلمة الأفرنجية على السواء .

(١) - القائف : (الذي يتتبع آثار الأقدام ويعرفها أي آثار الأقدام الخ ماورد في الملاحظة) .

قلت : أليس (الاركتولوج) كذلك يتتبع آثار القدماء المندفنة تحت الأرض بتقادم العهد ويقوم بشق الدراسات فالحفريات ويكشف عنها ويعترف عليها ؟ فمصطلحي - في اليوم الحاضر - يوافق المقصود من الكلمة الأفرنجية ويدل على الغرض .

(٢) - (الكورسه) : قلت ، لم أجد في شرح الكلمة الأفرنجية في معجم لاروس (ذي المجلدين) ما يشير إلى (الهيف والنحول) وإنما يذكر (تعديل القامة pour maintenir la taille) .

ويغلب على الظن أن نساء العرب في القديم لم يكن ذوات عجيزات فبدأ هن تعظيم العجيزة وتضخيمها ليروق منظرهن في عين بعولتهن .

(١) تحترم لجنة المجلة آراء الكتاب الشخصية وتترك البت فيها لى القراء الكرام .
(لجنة المجلة)

فهن إذن يقوون من اعتدال قامتهن بهذه الاعظومات ... وانعكس الأمر الآن فوجد أكثرهن عظيمات المعجزات ، فيلجأن إلى (الكورسه) لضغط المعجزة بعض الشيء لتعديل القوام ... فإذا كانت (الاضخومة) لتعظيم الأرداف قديماً ، واليوم لم تعد تصلح للتعديل والتضييق ، فلنقل أذن (أنحولة ، من النحول) أو ما هو أدل على المعنى من هذه ، كلمة (أردوفة ، من الرّدف وهو الراكب خلف الراكب ، وأردفه أركبه خلفه) فالأردوفة ، على هذا ، ما تركبها السيدة خلفها . وفيها معنى (ما يحقق للأرداف الغاية المطلوبة) .

فهل توافق اللجنة المحترمة على هذا المصطلح الجديد (للكورسه) المطابق للمعنى والواقع على قدر الإمكان ؟

أما أن يحاول إيجاد كلمة أو مصطلح ينطبق تمام الانطباق على معنى الكلمة الأفرنجية ، حذو القذة بالقذة ، فهو محاولة المحال إلا فيما هو أندر . هذا وأقدر دقة الملاحظة التي أبدأها الزملاء الكرام أعضاء اللجنة وحرصهم على تحري الصواب والأصلح فشكراً لهم جميعاً مرة ثانية .

الكواكبي



أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٨ —

(٧٨)

مادة غ ز ل — غَزَلَتْ .
ورد في الكامل « غَزَلَتْ أُمٌّ حَيْبٌ » أي أَحَبَّتْ أَنْ يُتَغَزَلَ بِهَا
لا يذكر اللسان هذا المعنى .

★ ★ ★

(٧٩)

مادة ص ل ع — صَلَّعَ .
ورد في الكامل لنصر بن حجاج البيت الآتي وفيه « صَلَّعَ » :
فَصَلَّعَ رَأْسًا لَمْ يُضَلِّعْهُ رَبُّهُ يَرْفٌ رَفِيفًا بَعْدَ أَسْوَدَ جَائِلٍ
صَلَّعَ الرَّأْسَ = أزال شعره . أفقده الشعر ، صيَّره أصلع .
هذا المعنى لم يذكره ولكنَّه ذكر وكرَّر : « وصلَّعَ الرجلُ
إذا أعذر (تبرَّز) والتصليع السُّلاح (النجوى) وقد صلَّع إذا بسَّطه
(فرش سلحه) قال ابن بريَّ صلَّع الرجل إذا أحدث (تفوَّط) ويُقال
للعِيذِ يَوط (الذي إذا أتى امرأته سلح) إذا أحدث عند الجماع صلَّع » .

★ ★ ★

(٨٠)

مادة عرض - طول - قصور .

قال مفسراً: « العرض خلاف الطول » .

« القصير خلاف الطول »

فالنتيجة العرض هو القصير - وعلاوة على هذا: لم يفسر شيئاً لأنّ التفسير بالنقيض والخلاف وبألفاظ من المادة عينها لا يجلو المعنى وهذه السقطة متكررة في اللسان آلاف المرات .

★ ★ ★

(٨١)

مادة ذكر - أنث .

قال مؤلفاً: « الذكر خلاف الأنثى »

« والأنثى خلاف الذكر من كل شيء »

★ ★ ★

(٨٢)

مادة رأى - رئة .

قال : الرئة موضع النفس والريح من الإنسان وغيره ولم يفسر أفي موضع واحد هما أم لكل موضع ؟ .

★ ★ ★

(٨٣)

مادة أس ر — أسرى .

قال « وفعلّى جمع لكلّ ما أُصيبوا به في أبدانهم وعقولهم مثل مريض مرضى وأحمق حمقى وسكران سكرى » ولكن إذا كان وزن فعلّى جمعاً لما أُصيبوا به وجب أن يكون جمع مَرَضٍ ومُحمَقٍ وسكر — فكان عليه أن يقول « لكل من أصيب في بدنه وعقله » .

★ ★ ★

(٨٤)

مادة م ج ج — مَجّ .

قال : « مَجّ الشراب والشيء من فيه رماء » .
رماء تؤدّي معنى مَجّ في قوله مستشهداً : « وأخذ حسوة ماء من الدلو فمَجّها في برّ ففاضت » . وفي قولهم مجازاً « هذا كلام تمجّه الأسماع »
ولكن متى وصلنا إلى قول الشاعر :
« ولا ما تمجّ النحل من متمنّع فقد ذقته مستطرفاً وصفا ليا »
وقول ابن أبي ربيعة :
« يَمُجّ ذكيّ المسك منها مفلّج رقيق الحواشي ذو غروب مؤشّر »
رأينا أن رمى لا يؤدّي معنى مَجّ .

★ ★ ★

(٨٥)

مادة أ س ر .

قال الجمع أسراء وأسارى وأسارى وأسرى — قال ثعلب ليس الأسر بعامة فيجعل أسرى من باب جرحى في المعنى ولكن لما أصيب بالأسر صار كالجريح والاديع فكسّر على فعلى كما كسّر الجريح .

ظاهرٌ بوضوح تام أو (كما كان يُقال في سورية على عهد الأتراك) آشكاره باللى ، أن المصنّف كتب عاهة فحوّلها الناشر إلى عامة وغفلت عنها عين المصحّح ، على أن الطالب قد يفهم أن عامة جمع عائم كما أن قائف (من قاف يقوف) جمعها قافة وسائد جمعها سادة فتصير الجملة بلا معنى ، هي مطبعية ولا شك ولكن أيها « المراجعون » ضرر الغلطة المطبعية مثل ضرر الأصلية

★ ★ ★

(٨٦)

مادة أ س ر — أ س ر ، مؤسّر .

ورد لابن أبي ربيعة :

وحبسي على الحاجات حتّى كأنّها بقيّة لوح أو شجارٍ مؤسّرٍ
مؤسّر اسم مفعول من أسّر للتكثير أو المبالغة في أسّر بمعنى ربط ،
واللسان الذي يذكر كسر مبالغة في كسر لا يذكر أسّر - و « الناقلون »
نقلوا عنه عدم ذكر أسّر .

★ ★ ★

(٨٧)

مادة أ س ر .

روى للمجاج :

فأصبحت بنجوة بعد ضَرَرٍ مُسَلِّمِينَ من إِسَارٍ وَأَسَرٍ
 ففُسِّر «أصبحت بنجوة» [ولا يُطَلَّب من صاحب المعجم أن يفسِّر كلمة
 في غير بابها] بقوله : « شَرِّفاً من ضيق » [بضم الشين وتضعيف الراء] .
 ولكنَّه لا يذكر شَرِّفَ ، مجهول الصورة الثانية من الرباعي القياسي ،
 في مادة ش ر ف ولا المعلوم شَرِّف بالمعنى الذي أرادَه عندما قال :
 « شَرِّفاً من ضيق » فالطالب مضطر إلى الاستنتاج أن « شَرِّفَه » = جعلَه
 يعلو ، رَفَعَه ، وذلك لأنَّه يقول تشرَّفَ المربأ = علاه وتشرَّفَ مطاوع
 شَرَّفَ مثل كثره = جعلَه يتكسَّر : شَرِّفَه = جعلَه يتشرَّف أي يعلو
 الاستنتاج وُضِع المعجم ؟

★ ★ ★

(٨٨)

مادة و م د .

قال « والوَمَد لَثَق (ثاء ساكنة) وندى يجيء من جهة البحر إذا
 ثار بخاره وهبَّت بهِ الريح الصَّبَا فيقع على البلاد المتاخمة له مثل ندى
 السماء وهو يؤذي الناس جدًّا لِنَتْنِ رائحته » .

(١) قال « لَثَق » بسكون الثاء — وفي مادة ل ث ق يورد لَثَق بفتح
 الثاء تسع مرات ويؤكد الفتح بقوله « لَثَق بالتحريك » .

٢- إذا كان البحر غربيً البلاد المتاخمة له كالبحر الأحمر والشواطئ العربية فهل تكون الريح الهابّة بالوَمَد رِيح الصَّبَا ؟

٣- تهبّ الصَّبَا في الحجاز وسورية ولا تهبّ بالوَمَد - وعندما خاطب ابن الفارض رِيح الصَّبَا بقوله .

أَيُّ صَبَا أَيُّ صَبَا هَجَّتْ لَنَا سَحَرًا مِنْ أَيْنَ ذِيكَ الشَّدَايْ
هل عني بالشَّدَايْ نَتْنُ الرائحة ؟

سبب الخطأ تعميم الخصص - ابن منظور نقل عن الأزهري وأبو منصور (الأزهري) خصص البحرين وأما الناقل فمهم فأخطأ والناقلون لم يعموا في اللفظ هذا لأنهم نقلوا هذه المادة عن الفيروزآبادي بالحرف الواحد .

★ ★ ★

(٨٩)

مادة ودع : مودوع .

قال : مودوع : « سَكِينَة ووقار ، مصدر على وزن مفعول مثل ميسور وميسور الخ ومودوع : ذو سَكِينَة ووقار ، اسم مفعول ولا فِعْل له كقولاك مُدَرِّهَمْ كثير الدراهم ولا تقول دُرِّهَمْ فلان ، ومفؤود مُصَاب في فؤادهم ولا تقول فُئِدَ . »

أَيَّدَ قَوْلَهُ « ولا فِعْل له » بمثالين : مُدَرِّهَمْ ولا تقول دُرِّهَمْ . وفي مادة درم (حيث يضع « درم » كأنها مشتقة من درم) يقول قال أبو زيد « ولم يقولوا دُرِّهَمْ » وقال ابن جني « لكثته إذا وُجِدَ اسم المفعول فالفعل حاصل » .

شهادة أبي زيد شهادة بالنفي وهي شهادة مردودة . فأبو زيد لم يسمع أنهم قالوا كذا ، ولم يصل إلى علمه أنهم قالوا ولكن هل سمع أبو زيد كل ما قالوه ؟ وهل انتهى إلى علمه كل ما قيل ؟

وشهادة ابن جني شهادة العقل المفكر الذي لا يدعي أنه وعى كل شيء بل يبني قوله على أحكام أساسية لا تخالف النواميس العامة ولا تنافي روح اللغة إذا وُجِدَ اسم المفعول فالفعل حاصل .

قد يكون الفعل المشار إليه قليل الاستعمال ولكن القول بعدم وجوده مناقض للوضع الأساسي وهو أن اسم المفعول يُشتق من الفعل .

ولابن جني قول آخر : « يجوز للشاعر أن ينطق بما يُنتِجُهُ القياس وإن لم يُرد به سماع » — هذا ليس تجويزاً للشاذ بل هو تقديس للأصول . وما جَوَّزَ الشواذ إلاَّ السماع لأنَّ السماع بُني على الرواية والرواية أُصِيت بالنسيان والتبديل والحذف والزيادة عن غير عمد وبُليت بالكذب المقصود أيضاً ، وابن جني لم يخص الشاعر بالجواز قصدَ نفيه عن الناثر بل قال يجوز للشاعر لأن معظم الأدب العربي كان شعراً .

والمثال الثاني « مفعود ولا تقول فُعِدَ » هذا قوله في مادة ودع ولكنَّه في مادة ف أد يقول « فَادَهُ يَفَادُهُ فَاداً أَصَاب فَوَادَهُ » فكيف يتفق هذا وقوله ولا فعل له أو ولا تقول فُعِدَ .

هذا بشأن المثالين وأما مودوع فإنه قال فيها « مصدر على وزن مفعول » وكلهم خلا سيديوه قالوا هذا القول ، والصحيح أنه اسم مفعول استعمل مصدرأ واستعمله شاذ فلذلك حُصِرَ في ألفاظ بعينها ، وهي ألفاظ قليلة الاستعمال وقال أيضاً « ذوسكينة ووقار اسم مفعول لا فعل له » وكلام العرب دَعَ وبَدَعَ ولا يأتي منه الماضي ولا المصدر (ودَعُ) ولا اسم الفاعل .

الماضي : ابن منظور يقدم شواهد على ورود الماضي منه شذوذاً والواقع أن الوارد هو القياسي وأن قوله هو الشاذ . فيذكر الآية : « ما ودعك ربك وما قلى » . (سورة الضحى ٣) أي لم يقطع الله الوحي عنك — [وابن عباس يقول في تفسيره « ما تركك منذ أوحى إليك » ولفظة

ودعك غير مشكلة — والطبعتان العثمانية والمصرية تقولان ودعك بتشديد الدال [على أن ابن منظور يقول «وعليه قرأ بعضهم» (ومنهم عروة بن الزبير) «ما ودعك ربك» بتخفيف الدال . فموجب هذه القراءة (ولا تناقض في المعنى بين القراءتين) الفعل الماضي ودع موجود في الاستعمال .

ثم أورد بيتاً لأبي الأسود الدؤلي :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

روى مثله عن الأصمعي لأنس بن زئيم :

ليت شعري عن أميري ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

وروى لشاعر :

وكان ما قدّموا لأنفسهم أكثر نفعاً من الذي ودعوا

وروى عن ابن بري لسويد بن أبي كاهل .

سلّ أميري ما الذي غيرته عن وصالي اليوم حتى ودعه

وأنشد لآخر :

فسمي مسماته في قومه ثم لم يدرك ولا عجزاً ودع

ونقل عن ابن الأثير (النهاية) «وقد جاء في غير حديث حتى قرىء به» .

فبناءً على شواهدهم : الفعل الماضي الثلاثي موجود أو حاصل كما أصاب

ابن جني .

المصدر : أورد ابن منظور من حديث ابن عباس أن الرسول قال لينتهين

أقوام عن ودعهم الجمعات أي عن تركهم إياها . فالمصدر موجود وقد روي عن أفصح العرب .

اسم الفاعل : وأورد بيتين فيها وادع بمعنى تارك .

عن الفارسي : فأثيها ما أتبعن فأنسي حزين على ترك الذي أنا وادع

لمعن بن أوس : عليه شريب لين وادع العصا يساجلها حمائه وتساجله

م (١١)

فاسم الفاعل موجود أيضاً .

وكما أن الماضي من يدع بمعنى ترك موجود رغم قول بعض النحاة بعدم وجوده ، لنا أن نستنتج ان الفعل الماضي من هذه المادة ، بمعنى جملة 'ذا سكينه ووقار موجود' أيضاً .

يقول : مودوع ذو سكينه ووقار . ولا فعل له .

وابن جنبي يقول « اسم المفعول موجود فالفعل موجود » — والفعل الذي اشتق منه اسم المفعول يجب أن يكون متعدياً .

الفعل اللازم ورد : ودع وداعة أو دعة . كان ذا سكينه ووقار .
فهل في طبيعة اللغة أن يقال ودعه أي صيره ذا سكينه ووقار ؟
لنأخذ مثلاً قياسياً (غير نادر) : منع مناعة كان حصيناً عزيزاً
(محارمك امنعها من القوم اني أرى جفنة قد ضاع فيها المحارم)
منعه حماه وصيره حصيناً عزيزاً .

فالماضي من مودوع موجود أمّا كثرة استعماله أو قلته وإقبال الشعراء والكتّاب عليه أو إشارتهم سواء فأمور متعلّقة بعلم البلاغة أو بعلم المعاني والبيان .

★ ★ ★

(٩٠)

مادة هل ع — أهلع .

في مادة جزع يذكر تمديّة هذا الفعل بالهمزة : « وأجزعه غير » .
ولكنّه لا يذكر في مادة هلع تمديّته بالهمزة كأنّ أهلع غير موجود .
روى المبرّد للريّاشي (وقدّر ابن المكرم المبرّد معروف)
حتّى إذا انقطعت عنّي ومائلته كفّ السؤال ولم يثولع بإهلاعي

★ ★ ★

(٩١)

من مظاهر عدم مبالاة الناشر بالمراجعة والضبط ما يأتي :
 جاء في بداية الأوّل : « وُلِدَ في الحرّم سنه ٦٩٠ وتوفي سنة ٧٧١ » .
 وفي ختام الجزء : « وِلِدَ سنة ٦٣٠ في الحرّم ومات في شعبان سنة ٧١١ » .

★ ★ ★

(٩٢)

الألف في الجزء الأخير في باب الألف (وهي الحرف الثامن والعشرون ،
 الحرف الذي لا يُبتدأ به ولا يقبل الحركات مطلقاً والذي يحتاج إلى حرف
 مفتوح 'يكتب قبله') قال : « الألف تأليفها من همزة ولام وفاء وسمّيت
 ألفاً لأنها تألف جميع الحروف » .

غريب إقبالهم على الأخذ بالظواهر ، بهيأة الكلمة ، وأعجب منه إقدامهم
 على الاستنتاج من الشكل الخارجي . أو لم يقل الجحد 'إن' أصل اسطرلاب
 أن رجلاً اسمه 'لاب كتب أسطراً في الفلك ؟' أو لم يرد في القاموس وفي
 اللسان أن أصل 'المد' [لفظة موروثة في الأمم الشاميّة] أن يمدّ الرجل
 يديه فيملا كفيّه طعاماً ، « وِملء كفيّ الإنسان المعتدل إذا ملأها ومدّ
 يده بها [أي مدّ يده بكفيّه] — هذا تعبير يحتاج تفسيره إلى معجم
 كبير [ومثلها أمثال كثيرة .

سمّيت الألف ألفاً لأنّ الذين وضعوا الأبجدية سمّوها « أولف »
 وعندهم ورثناها وتصرفنا في لفظها موافقةً لطبعنا .

★ ★ ★

(٩٣)

مادة هرر — تعقّر .

في آخر مادة « هر » يورد بيتاً للمؤرّج .

يا لك من قنبرة وقنبر كنت على الأيام في تعقّر

ويفسّر كلمة تعقّر في مادة هر (وهو ليس مطلوباً منه) بقوله أي
« الصبر والجلادة والله أعلم » ، وجميل جداً إظهاره التقوى واتّضاعه أمام
علم الله تعالى .

لو قرأ طالب هذا البيت في كتاب ما ولم يفهم معنى تعقّر فأين يطلب
الكلمة ؟ هل يطلب تعقّر في هر ؟ بل يطلبها في عقر فيقرأ تسع صفحات
أكثرها لوك ، ولا يجد ما هو طالبه — وان كان المصنّف مكتفياً بقوله
تعقّر الشحم اكتنز كل موضع من الجسم شحماً ليخرج التفسير بالمجاز
والمقابلة فلماذا فسّر في هر بالصبر والجلادة ؟

(٩٤)

مادة ح ن ن — مُستَحِنّ .

استشهد بالبيت الآتي :

لقد تركت فؤادك مُستَحِنّاً مطوّقة على الفُصن تفتّى

فقال في التفسير المُستَحِنّ الذي استَحَنَّهُ الشوق إلى وطنه .

(١) فسّر المستَحِنّ بفعل استَحَنّ وهذا ليس بمستغرب فإنه آفة
علمائنا في القرن العشرين أيضاً إذ ترى الكبير منهم يفسّر فعل اقتدى بقوله
هذا من الاقتداء .

(٢) في البيت مستحجن اسم فاعل ، صفة للفؤاد فيكون الفؤاد هو فاعل الاستحجان .

وفي التفسير يحول الفؤاد إلى الذي وقع عليه الاستحجان والذي فَعَلَ هو الشَّوق . فالتناقض بين الوضع في البيت والوضع في التفسير جلي .
والبيت صحيح والتفسير غير صحيح — وابن منظور نفسه يوردُ هذا الفعل فعلاً لازماً بقوله استحسنت الريح واستحجن استطرب كما فعل المجد بقوله استحجن مثل حن حنياً — على أنه في تفسيره البيت حوله إلى فعل متعد .

★ ★ ★

(٩٥)

مادة غ ف ل — اغتفل .

لا يذكر فعل اغتفل — وهو وارد في الكامل ومعناه « اغتم غفلة ... »
« حذر سؤول فأنا آمن أن يُغتفل » .

★ ★ ★

(٩٦)

مادة ج س و — جساوة .

لا يذكر لفظة جساوة — ومعناها الصلابة .

وردت في الكامل : « ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعه إلى القساوة فقد اختلط كلُّ بكُل » .

★ ★ ★

(٩٧)

مادة أرز — أرُزٌ ، رُزٌ ، رُئزٌ ، أرُزٌ كلُّهُ ضربٌ من البُرِّ .
وهو الذي يقول برز البُرُّ الحِنْطَةُ والبُرُّ أفصح من قولهم القمح والحِنْطَةُ .

★ ★ ★

(٩٨)

مادة أرز — الأرز .

قال اللسان : « قال أبو عبيدة الأرز شجر الصنوبر . »

« الأرز العرعر شجر بالشام ويُقال لثمره الصنوبر . »

« وقال أبو حنيفة أخبرني الخبير أن الأرز ذكر الصنوبر . »

لا أبو عبيدة ولا أبو حنيفة ولا ابن منظور رأى شجرة أرز أو شجرة صنوبر فتوهم أبو عبيدة واكل أبو حنيفة على « خبير » وعنهما نقل ابن منظور فأخطأوا ، وفهمنا لماذا أخطأوا — ولكنَّ مُعْجَمِيَّي القرنين الأخيرين التاسع عشر والعشرين ، [والثلاثة أبناء لبنان — الثلاثة عاشوا بين الأرز والصنوبر] كان الواجب عليهم ولو في هذه النبذة فقط أن يرتفعوا عن النقل الأعمى . ففي محيط المحيط وأقرب الموارد والبستان الأرز هو الصنوبر أو ذكر الصنوبر .

★ ★ ★

(٩٩)

في مادتي حلا وحكى يَكْتُبُ سَيْلٌ : [الهمزة في الوسط ومتحركة
ترسم على حرف حركتها] — تحركت بالكسر فكتبت على ياء . هذا رسم الهمزة

على قاعدة . وفي مادة سأل يقول والمضارع يَسْأَلُ : الهمزة في الوسط وحركتها فتحة فكتبت فوق أَلِف . وهذا على القاعدة ذاتها . ولكنّه عندما يكتب تُسْأَلُ في الشاهد (مادة حلا) فهل في استطاعته كان أو في إمكان أحد أن يضع قاعدة " لرسم همزة مفتوحة ومتوسطة وما قبلها ساكن على ياء ؟ وإن كان في استطاعته أن ينصّ فلماذا رسمها في باب سأل يَسْأَلُ على ألف ؟ قد لا يكون المخطيء ابن منظور فليُجِبِ الناشر .

★ ★ ★

(\ ♦ ♦)

الخفّة في النقل .

قال في مادة أثّر : وأُثِّرُ السيف (المثلثة ساكنة) تسلسله وديباجته .
فإني إن أقم بك لا أهلك كوقع السيف ذي الأثر الفيرثد
روى الراوي الثاء بالفتح فقام ثعلب [وكان نداء المبرّد] وقال إنما أراد
ذي الأثر (بالسكون) خفّة كه للضرورة . وقول ثعلب خلط بل علك إن
صحّ أنه قال ، إذ لا ضرورة هنا في الوزن — ومع أنّ ابن سيده قال
« لا ضرورة » أصرّ ابن منظور على نقل كلام ثعلب .

★ ★ ★

(\ ♦ \)

مادة خض ع — اختضع .

قال : « اختضع ذلّ — خضع الرجل رقبته فاختضعت — يظلّ
مختضعا أي مطأطأ الرأس — والاختضاع المرّ السريع — والاختضاع سرعة
سير الفرس . »

خمس مرّات يذكر فعل اختضع وهو فيها كلّها فعلٌ لازم ولا يُوردهُ متعدّيّاً - والقاموس مثله حتى انه لما قال اختضع خضع (وخضع يأتي متعدّيّاً ولازماً) زاد مستدركاً كاختضوع (ووزن افعول لا يكون إلا لازماً باستثناء امروري واحلولى) خوفاً من أن يفسّر اختضع يخضع لازماً ومتعدّيّاً .
لكنّه في مادة دل ف ، يفسّر الدالف بقوله « الكبير الذي اختضعته السين » فهنا جعل خضع متعدّيّاً ، وعلى فرض مجيء اختضع متعدّيّاً ، فلماذا لم يذكر ذلك حيث يجب ذكره مفصّلاً بل أبقاه لدلف فورد عَرَضاً .

★ ★ ★

(١٠٢)

مادة ث ن ي — اثنين .

قال : « والألف في اثنين ألف وصل فإذا كانت مقطوعة في الشعر فهو شاذّ كما قال قيس بن الخطيم :

إذا جاوز الإثنين سرّ فائتهُ بنثٍ وتكثير الوشاةِ قمينُ

(١) هو نفسه يقول في باب الألف : « الألف على ضربين لينّة ومتحرّكة فاللينّة تُسمّى ألفاً والمتحرّكة تُسمّى همزة . » معناه أن الألف القديمة التي كانت قبل الإصلاح العربي العظيم ، أي ألف السريان والفينيقيين واليهود ، قسمها العرب إلى قسمين : التي لا تُستعمل إلا لتمديد صوت الفتحة ولا تقبل الحركات عليها مطلقاً أي لا تتحرك ولذلك لا يصح تسميتها المتحرّكة — أمّا التي كانت تُهمز في الأُمّ الشامية وتحرّك كما لا يزال السريان والعبران يهمزونها ويحرّكونها ، فسُمّيت همزة ووُضعت لها علامة وصارت الهمزة الحرف الأول والألف صارت الثامن والشرين فلا يجوز لأحد بعد الإصلاح أن يعود إلى التخلّط القديم فيسمّي الهمزة ألفاً .

(٢) قال « فإذا كانت مقطوعة ... » كلمة مقطوعة ضللت كثيرين لأنهم فهموا أن القطع هو ذلك الصوت الحلقى القاسي الذي عناء الرسول بقوله لا تبر اسمي لما ناداه أحدهم أيها النبي . ولكن القطع في الهمزة شيء آخر كما سيحيى . وقسم العرب المصلحون الهمزة إلى همزة أصل كما في أخذ وسأل وقرأ وهمزة فصل كالتى في أكرم وهمزة وصل — ثم أطلقوا « همزة قطع » على القسمين الأولين فشملت التسمية همزة الفعل المهموز وهمزة الاستفهام وهمزة المضارعة وهمزة الزيادة وهمزة القلب أو البدل . وسميت « همزة قطع » لأنها تقطع ما قبلها عمّا بعدها في القراءة فتُلَفِّظ لفظاً واضحاً وإن سَبَقها مقطع فكلمة همزة تدل على نبر الصوت وكلمة قطع تدل على وظيفة الهمزة ، فهي بموجب وظيفتها قاطعة غير مقطوعة . كذلك همزة الوصل فوظيفتها أن تكون واصله ما قبلها بما بعدها فما قبلها موصول بما بعدها أو ما بعدها موصول بما قبلها لذلك تسقط لفظاً لا خطأً حيث يقع الإلتباس وتسقط لفظاً وخطأً حيث يُؤمن اللبس — ولكونها تثبت في الابتداء أي في أوّل الجملة أو في الكلمة المنفردة : أي تثبت خطأً ولفظاً .

فموجب الإصلاح العربيّ الفريد الذي لا مثيل له في لغة أخرى أغربية كانت أم شرقية ، كان على المصنّف أن يقول : « والهمزة في اثنين همزة وصل فإن أبدلت منها همزة قطع في الشّعر فهو شاذ » .

ثم يقول بعد الشاهد الثاني :

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمةً على حدّ ثان الدهر منّي ومن مجلّ

« وقد قطعها » الشاعر على التوهم — ونقل المجمعون عنه مع إيضاح على التوهم فقالوا « على توهم الأصل » أي أن الشاعر توهم أن همزة الوصل همزة أصل ، وهذا لا معنى له لأن الشاعر مها كان لا يتصور مثل هذا التصوّر . ولكن الشاعرين استملا همزة القطع (شذوذاً) مكان همزة الوصل

محافظةً على الوزن لأثباتك إذا وصلت الزاي المفتوحة أو الراء المفتوحة
(في المثالين أعلاه) اختلّ الوزن وإذا قطعت الراء والزاي عن اللام والهاء
بلفظك الهمزة صحّ الوزن .

والمزج بين الألف والهمزة بعد الإصلاح ليس محصوراً في ابن منظور
بل هو عام — وابن فارس الذي فاخر بأن العرب أوّل من همز يمزجها
أيضاً فكأنه ضرب من « الإسكيزوفرنيا » [ولم أطلع على الاسم الذي وضعته
مدارس الطب العربية لهذه الحالة العقلية] : مفاخرة بالإصلاح وحين إلى
القديم المطرّح .

★ ★ ★

(١٠٣)

في مادة س ن ر يقول قال أبو عبيدة ... وأنشد :

سَيَكِينٌ مِنْ صَدْلِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ
تَحْتَ السَّنَوَرِ جُبَّةٌ الْبَقَّارِ
[بضمّ جيم جُبَّة رفعاً للشك]

ولم يذكر لمن البيت — فيكون قد شبه الجيش بجُبَّة بائع البقر فلأنّه
كلام بلا معنى فقول إن فيه غلطة من الناشر — ولكن صاحب البستان نقله
كما هو ولو كان بلا معنى : كفاه أنّه « هكذا ضبطه اللسان » كما يقولون .

وفي مادة س هـ يستشهد اللسان بهذا البيت مرة ثانية ويقول قال النابغة
(يعني الليثاني) ... تحت السَّنَوَرِ جِنَّةٌ الْبَقَّارِ .

فصار للبيت معنى : كأنهم الجِنَّ القاطنون في بقَّار (اسم موضع) .

★ ★ ★

(١٠٤)

مادة هبقي — الهَبْرَقِيّ .

قال الهَبْرَقِيّ من الثيران المسنّ الضخم واستعاره صَخْر الفسي للوعل
المُسَيْن ، فقال يصف وعلاً [وقد استعار له اسم الهبرقي] .
به كان طِفْلاً ثم أُسْدَسَ فامستوى فأصبح لَهُمَا في لهُوم
ولكن أين الشاهد؟ وأين تنمة البيت؟ أين الهبرقي .

المصحح اكتشف أن البيت ناقص فكتب على الهامش « كذا بالأصل
وهو ناقص فليحرّر » ولكنه لم يرَ أن لَهُمَا بفتح اللام خطأ وأن الصحيح
اللَّهُم بكسر اللام .

هذا البيت أولاهُ المصنّف في مادة ق ر ب — قرهب — وفي مادة ل ه م
تاماً وبلامِ لَهُم مكسورة . فأصبح لَهُمَا في لهُوم قراهب — ولكن أين
الشاهد على الهَبْرَقِيّ ؟

★ ★ ★

(١٠٥)

مادة س ب ب .

يذكر سبّ وسابّ واستسبّ ولكنه لا يذكر استبّ مع أنه استشهد
بقول فيه هذا الفعل ، في مادة ب س ت ق :
ولم يُستبّ ساكنها عشاءً

وفي الكامل قال أبو العباس « وفي مجلسه لا يستبّ اثنان » .

★ ★ ★

(١٠٦)

مادة ه ب ل .

قال مستشهداً : « قال الهذلي .

لا تَقِهِ الموتَ وَقِيَّاتِهِ خُطٌّ لَهُ ذلكَ في المِهلِ

البيتُ فيه فلسفة الهذلي في المقدّر ولو قال « لا تدفع الموتَ » لكانت لفتتهُ صحيحة وما تغير شيء من نظره . ولكنّه تظَرَّف فقال « لا تَقِهِ » للمجانسة بين الفعل والفاعل وإذ لم يسمح له الوزن برفع المضارع جزمته في غير نهْيٍ فبدلاً من (لا تَقِهِ) قال لا تَقِهِ ، أي أنّه فضّل قسرة المجانسة على لُبّاب القاعدة ، واللسان روى هذا الإخلال غير معترضٍ وعن اللسان روى البستان فزاد على الإخلال إفساد المعنى وكسر الوزن بقوله .

خُطٌّ لكَ ذلكَ في المِهلِ

★ ★ ★

(١٠٧)

الفساد الحاصل من التساهل في اللغة مثل الفساد الحاصل من التساهل

في الشرائع .

الخطأ مرفوض فلا يخرّج عليه خطأ ثانٍ ولو نطق بها كبيرٌ — العين ، عضو البَصَر ، لفظة مؤنثة ، فلا يجوز تذكيرها بالحمل على بَصَرَ ولا على طرف . والشاعر الذي يخيّل بالأصول من أجل الوزن أو القافية ليس شاعراً من الطبقة التي يستشهد بها في اللغة وإن جاز أن يُذكر قوله في مبحث فلسفي . قال في مادة صرد — صرخد : « قال الراعي .

ولَذِ كَطْعِ الصَّرْخَدِيِّ طَرَحْتُهُ عَشِيَّةَ خَمْسِ الْقَوْمِ وَالْعَيْنُ عَاشِقُهُ
واللَّذِ النُّومُ قَالَ ابْنُ بَرِّي وَرَوَاهُ ابْنُ الْقَطَّاعِ وَ « الْعَيْنُ عَاشِقُهُ »
(بفتح القاف) قَالَ وَالضَّمُّ أَصَحُّ لِأَنَّ قَبْلَهُ .

وَسِرَّ بِالِ كَتَّانٍ لَبَسَتْ جَدِيدَهُ عَلَى الرَّحْلِ حَتَّى أَسْلَمَتْهُ بَنَاتُهَا
والهَاءُ فِي عَاشِقُهُ تَعُودُ عَلَى النَّوْمِ وَذَكَرَ الْعَيْنُ عَلَى مَعْنَى الطَّرْفِ كَقَوْلِ
طَفِيلٍ « وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمَدِ الْحَارِيِّ مَكْحُولٌ » فَبِنَاءٌ عَلَى هَذَا التَّخْرِيجِ بِالتَّمْلِ
عَلَى مَعْنَى كَذَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ أَذْنَاهُمَا طَوِيلَانِ « عَلَى مَعْنَى مَسْمَعَيْهَا — أَفْهَمُ
أَجَلَ بَنَاتِي يَقُولُ وَالْعَيْنُ عَاشَتْ وَيُثَبِّتُهُ اللِّسَانُ حِجَّةً لِمَنْ يَرِيدُ الْعَبَثَ بِلِ الْعَيْثِ .

★ ★ ★

(١٠٨)

مادة ص خ د . الصُّخْدُ .

قَالَ صَخْرَةٌ صِيخُودٌ صَبَاءٌ رَاسِيَةٌ شَدِيدَةٌ — الْمَلَسَاءُ الصُّلْبَةُ لَا تَحْرُكُ مِنْ
مَكَانِهَا وَلَا يَعْمَلُ فِيهَا الْحَدِيدُ : « حَمْرَاءُ مِثْلِ الصَّخْرَةِ الصِّيخُودِ » قَالَ
ذُو الرُّمَّةِ « يَتَبَعْنَ مِثْلَ الصَّخْرَةِ الصِّيخُودِ » وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ « ذَوَاتِ
الشَّخَابِيبِ الصُّمُّ مِنْ صِيَاخِيدِهَا .
اسْتَشْهَدَ بَعْلِي وَذِي الرُّمَّةِ وَآخِرُ لَمْ يُسَمِّهِ ، فَمَا بَقِيَ عَلَيْهِ كَانَ إِلَّا أَنْ
يُورَدَ بَيْتُ حَكَمِ الشُّعْرَاءِ وَشَيْخِ عَكَازٍ .

بِكَلِمَةٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ لَدَنْتُ لَهُ أُرْوِي الْهَضَابَ الصُّخْدُ
وَبِمَدِّ رَوَايَةِ الْبَيْتِ أَنْ يُفْسِّرَ الصُّخْدُ أَيُّ أَنَّهُ يَفْسَحُ لَهَا فِي اللِّسَانِ .

★ ★ ★

(١٠٩)

مادة ق ذ ع — قاذَع .

بمعنى الشتم ، يذكر قَذَعَ (ويُنكره الأزهري) وأقذَع والصفات :
مُقذَع وقَذَعُ وقذيع وقذِرِع وأقذَعُ بمعنى فاحش . ولكنه لا يذكر فعل
قاذَع بمعنى شاتم أو هاجى ، وهذا الوزن (مبادلة الشائم) وارد في شعر الديباني :
قَبْلَكَ مَا شَتِمْتُ وقاذعوني فما تَزُرُّ الكلام وما شجاني
القاموس يذكره : قاذَعَه = فاحشَه وشاتمَه .

★ ★ ★

(١١٠)

مادة ن ك ح — مرض الاسترخاء هو آفة المصايين بداء « هكذا ورد »
ولو خالف المبادئ .

قال وفي حديث معاوية « لست بشكج طُلُقَة » أي كثير التزويج
والطلاق — والمعروف أن يُقال شكجة لأن فُعْلَة من أبنية المبالغة لمن
يكثُر منه الشيء ولكن هكذا روي — انتهى .
أفلا شجاعة فيقول أخطأ الراوي أو أخطأ معاوية ؟ !

★ ★ ★

(١١١)

مادة ن ي ب — ناب .

قال « الناب المسنة من النوق ولا يُقال للجمل (المذكر) ناب » . ثم
قال « أعطاه ثلاثة أنياب جزائر » . هذا تناقض فثلاثة لا تكون إلا مع
المذكر وأنياب جمع لمؤنث . أمطبية ؟ فأين الناشر ؟ هذا مُعْجَم ! هذا مَرْجِع !

★ ★ ★

(١١٢)

مادة ذكر .

قال امرأة ذكيرة ومذكّرة ومتذكّرة = متشبهة بالذكور .
استعمال متشبهة صحيح لأنّ المرأة عاقلة — ويقول أيضاً وناق ذكّرة
متشبهة بالجل في الخلق والخلق . أما هنا فاستعمال متشبهة خطأ لأنّ
الناق لا تمارس فعل الإرادة والاختيار فتشبه بالجل في الخلق والخلق .
فالناق المذكّرة إنما هي الشبهة بالجل ولا يجوز الاعتذار بأنّه حمل الناق
على المرأة لأنّ هذا الحمل هو الخطأ بعينه .

★ ★ ★

(١١٣)

مادة ف ه س — فهرس .

قال { عن الليث : الفهرس = الكتاب الذي تجمع فيه الكتب .
وعن الأزهري : ليس بعربي محض ولكنّه معرّب .
عبارة الأزهري فيها حشو — فقوله « ليس بعربي » كافٍ — وقوله
« معرّب » يفيد الشيء ذاته ومحض لا تفيد شيئاً .
وأما جملة الليث فلا يفهم منها شيء — لنفرض أننا رأينا « فهرس الكتاب »
وأردنا أن نفهم معناها من المعجم — لنضع بطريقة إبدال مساوٍ بمساويه
كما في علم الجبر ، حدّ الليث لفهرس مكان فهرس في « فهرس الكتاب »
فالنتيجة تكون : الكتاب الذي تجمع فيه كتب الكتاب . فهل يُقدم عاقل على
إعادة طبع اللسان وذا الهذيان فيه ؟

★ ★ ★

(١١٤)

مادة ن ص ر .

قال : نَصَّرُ صنم وقد نفي سيئويه هذا البناء في الأسماء .
قال الأصمعي إنما هو [أي نبوخذ نصر الذي استولى على اورشليم]
بُؤْخَتْنَصَّر — وبُؤْخَتُ ابن ونَصَّرَ صنم وكان وُجد عند الصنم ولم
يعرف له أب فقيل هو ابن الصنم .

متى كان الأصمعي عالماً باللغة البابلية ؟

نبو : اسم إله ومعناه العلي .

خذ = الحد

نَصَّر = أعان — حمى — فالاسم معناه : نبو يحمي الحدود .

يتبع : (سنهولو) نوفي داود قربان



تصحيح تاريخ وفاة

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في الجزء الأول من المجلد
الحادي والأربعين الصادر بتاريخ (كانون الثاني ١٩٦٦ م = رمضان ١٣٨٥ هـ)
بحثاً بعنوان « قاسم بن ثابت السرقسطي وكتابه في غريب الحديث المسمى
بالدلائل » للأستاذ التنوخي ، وقد جاء في حاشية الصفحة الرابعة من المجلة
المذكورة أن النضر بن شميل كانت وفاته في سنة ٥٨١ هـ سهواً ،
فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان وابن خلكان في وفيات الأعيان
أن وفاته كانت سنة ٢٠٣ هـ أو ٢٠٤ هـ ، وقد نبه المجمع العلمي إلى هذا
الخطأ الأستاذ علي الفقيه حسن ، ولذلك ينشر المجمع هذا التصحيح
التاريخي لإفادة القراء ، وليجزل للأستاذ الفاضل الشكر والشناء .

